بسم الله الرحمن الرحيم رب أنعم

اللهم إنا نحمدك على ما علمت من البيان وألهمت من التبيان كما نحمدك على ما أسبغت من العطاء وأسبلت
من الغطاء ونعوذ بك من شرة اللسن وفضول الهذر كما نعوذ بك من معرة اللكن وفضوح الحصر
ونستكفي بك الافتتان بإطراء المادح وإغضاء المحابي كما نستكفيك الانتصاب لإزراء القادح
وهتك الفاضح ونستغفرك من سوق الشهوات إلى سوق الشبهات كما نستغفرك من نقل الخطوات
إلى خطط الخطيئات ونستوهب منك توفيقا قائدا إلى الرشد وقلبا متقلبا مع الحق ولسانا متحليا
بالصدق ونطقا مؤيدا بالحجة وإصابة ذائدة عن الزيغ وعزيمة قاهرة هوى النفس وبصيرة ندرك بها
عرفان القدر وأن تسعدنا بالهداية إلى الدراية وتعضدنا بالإعانة على الإبانة وتعصمنا من الغواية
في الرواية وتصرفنا عن السفاهة في الفكاهة حتى نأمن حصائد الألسنة ونكفى غوائل الزخرفة فلا نرد
مورد مأثمة ولا نقف موقف مندمة ولا نرهق بتبعة ولا معتبة ولا نلجأ إلى معذرة عن بادرة
اللهم فحقق لنا هذه المنية وأنلنا هذه البغية ولا تخرجنا عن ظلك السابغ ولا تجعلنا
مضغة للماضغ فقد مددنا إليك يد المسألة وبخعنا بالاستكانة لك والمسكنة واستنزلنا
كرمك الجم وفضلك الذي عم بضراعة الطلب وبضاعة الأمل ثم بالتوسل بمحمد سيد البشر
والشفيع المشفع في المحشر الذي ختمت به النبيين وأعليت درجته في عليين ووصفته في كتابك
المبين فقلت وأنت أصدق القائلين وما أرسلناك إلا رحمة للعالمين ❁ اللهم فصل عليه وعلى

أنشد

لبست الخميصة أبغي [illegible] وأنشبت شصي في كل شيصه

وصيرت وعظي أحبولة أريغ القنيصة والقنيصه

وألجأني الدهر حتى ولجت بلطف احتيالي على اللبث عيصه

على أنني لم أهب صرفه ولا نبضت لي منه فريصه

ولا شرعت بي على مورد يدنس عرضي نفس حريصه

ولو أنصف الدهر في حكمه لما ملك الحكم أهل النقيصه

ثم قال لي ادن فدانيته بحنو وقلت للتلميذ وقلت عزمت عليك بمن تستدفع به الأذى لتخبرني من ذا فقال هذا أبو زيد السروجي سراج الغرباء وتاج الأدباء فانصرفت من حيث أتيت وقضيت العجب مما رأيت

المقامة الثانية

حكى الحارث بن همام قال كلفت مذ ميطت عني التمائم ونيطت بي العمائم بأن أغشى معان الأدب وأنضي إليه ركاب الطلب لأعلق منه بما يكون لي زينة بين الأنام ومزنة عند الأوام وكنت لفرط اللهج باقتباسه والطمع في تقمص لباسه أباحث كل من جل وقل وأستسقي الوبل والطل

فلما حللت حلوان وقد بلوت الإخوان وسبرت الأوزان وخبرت ما شان وزان

[illegible] ... أن وعنى

في ... في ... ولمن ... لحونه ... مجالسه

... ومداراته ودرايته ... لا عالم ...

فكان لمحاسن آدابه يلبس على علاته ... وعلى ...

ونعده ... فعلت ... وما ... في ...

المقامة الثالثة

ثم بسط يده بعدما انشده وقال انجز حر ما وعد وسح خال اذ رعد فنبذت الدينار اليه
وقلت خذه غير ماسوف عليه فوضعه في فيه وقال بارك الله فيه ثم شمر للانثناء بعد
توفية الثناء فنشأت لي من فكاهته نشوة غرام سهلت علي ائتناف اغترام فجردت دينارا آخر
وقلت هل لك في ان تذمه ثم تضمه فانشد مرتجلا وشدا عجلا

تبا له من خادع مماذق	اصفر ذي وجهين كالمنافق
يبدو بوصفين لعين الرامق	زينة معشوق ولون عاشق
وحبه عند ذوي الحقائق	يدعو الى ارتكاب سخط الخالق
لولاه لم تقطع يمين سارق	ولا بدت مظلمة من فاسق
ولا اشماز باخل من طارق	ولا شكا الممطول مطل العائق
ولا استعيذ من حسود راشق	وشر ما فيه من الخلائق
ان ليس يغني عنك في المضايق	الا اذا فر فرار الآبق
واها لمن يقذفه من حالق	ومن اذا ناجاه نجوى الوامق
قال له قول المحق الصادق	لا راي في وصلك لي ففارق

فقلت له ما اغزر وبلك فقال والشرط املك فنفحته بالدينار الثاني فالقاه
في فمه وقرنه بتوامه وانكفأ يحمد مغداه ويمدح النادي

فإذا به أبو زيد وإن تعارجه لكيد فاستعدته وقلت له قد عرفت بوشيك فاستمر في مشيك

فقال إن كنت ابن همام فحييت بإكرام وحبيت بين كرام فقلت أنا الحارث فكيف حالك والحوادث

فقال أتقلب في الحالين بؤس ورخاء وأنقلب مع الريحين زعزع ورخاء فقلت كيف ادعيت القزل

وما مثلك من هزل فاستسر بشره الذي كان تجلى ثم أنشد حين ولى

[illegible] لا رغبة في العرج ولكن لأقرع باب الفرج

[illegible] بي وأسلك مسلك من مرج

[illegible] ذروا فليس على أعرج من حرج

◆ المقامة الرابعة ◆

أخبر الحارث بن همام قال ظعنت إلى دمياط عام هياط ومياط وأنا يومئذ مرموق الرخاء موموق
الإخاء أسحب مطارف الثراء وأجتلي معارف السراء فرافقت صحبا قد شقوا عصا الشقاق وارتضعوا
أفاويق الوفاق حتى لاحوا كأسنان المشط في الاستواء وكالنفس الواحدة في التئام الأهواء وكنا
مع ذلك نسير النجاء ولا نرحل إلا كل هوجاء وإذا نزلنا منزلا أو وردنا منهلا اختلسنا اللبث ولم نطل
المكث فعن لنا إعمال الركاب في ليلة فتية الشباب غدافية الإهاب فأسرينا إلى أن نضا الليل شبابه
وسلت الصبح خضابه فحين مللنا السرى وملنا إلى الكرى صادفنا أرضا مخضلة الربى معتلة
الصبا فتخيرناها مناخا للعيس ومحطا للتعريس فلما حلها الخليط وهدأ بها الأطيط والغطيط

سمعت صيتا من الرجال يقول لسميره في الرحال ◆ كيف حكم سيرتك مع جيلك وجيرتك
فقال أرعى الجار ولو جار ◆ وأبذل الوصال للمصال ◆ وأحتمل الخليط ولو أبدى التخليط
وأود الحميم ولو جرعني الحميم ◆ وأفضل الشفيق على الشقيق ◆ وأفي للعشير وإن لم يجاز باليسير
وأستقل الجزيل للنزيل ◆ وأغمر الزميل بالجميل ◆ وأنزل سميري
وأحل أنيسي محل رئيسي ◆ وأودع معارفي عوارفي ◆ وأول
وألين مقالي للقالي ◆ وأديم تسآلي عن السالي ◆

عيون الليالي وانوم الوجوه بالنظر احلى الى ان نحب اياب :

ونحن نعلل انفسنا بنيل الليلي ومشيد ابوابي فقصدتها قصد كلف بمانيها واثنى ناتيها واجتنيها و

البوا الى ذي والمحتسبين كرى وفلي وطفقت استبرى من البيان فضلها واهتم الاعواد المثمرة

منها الى ان غمر البطلان واتخذ من الجان وكان يعرض منه بنان الهدى ونور نيران القرى

فما ان نور زيد مثلا كينه واقبل ابو سنة فاري ان يجي في النخ ودرني فدرنح فما ذرني فقد

ونبزا لا ينهم وافضى مسد لهم فقلنا اذ انشى لبعد البرعة والرجعة الرجعة فقال نجد

مصلى عاد ربانع من زنداد طرفك الا ان تشهم اسنى انسان الجواد في المضمار وقال لا ابغ

بان بدا ولم يخل انه غبر وصاب لمفرقينا زفد زفة الاعياد ونستطلعه بعين الطلائع

والرواد الى ان مضت النهار وكاد جرف اليوم يتهار فلما طال امد الانتظار ووجبت الشمس

في الاطمار قلت لاصحابي قد تمادينا في المهلة وتمادينا في الجهل الى ان اضعنا الزمان

وبان ان الرجا مازه فاقبلوا للضعن ولا تلووا على خضراء الدمن ونهضت لاخرج راحلتي وانحما

لرحلتي فوجدت ابا زيد قد كتب على القتب

يا من غدا لي ناعدا او ساعيا دون المنى

لا تجزعن نائبة عن ملال اوانه

لكنني مذ لم ازل من اذا اطعم

المقامة الخامسة

في ليلة اديمها ذو لونين وقمرها كتعويذ من لجين

مع رفقةٍ غذوا بلبان البيان وسحبوا على سحبان ذيل النسيان ما فيهم إلا من يحفظ عنه ولا

يتحفظ منه ويميل الرفيق إليه ولا يميل عنه فاستهوانا السمر إلى أن غرب القمر وغلب السهر

فلما روّق الليل البهيم ولم يبق إلا التهويم سمعنا من الباب نبأة مستنبحٍ ثم تلتها صكة مستفتحٍ

فقلنا من الملم في الليل المدلهم فقال

يا أهل ذا المغنى وقيتم شرّا	ولا لقيتم ما بقيتم ضرّا
قد دفع الليل الذي اكفهرّا	إلى ذراكم شعثًا مغبرّا
أخا سفارٍ طال واسبطرّا	حتى انثنى محقوقفًا مصفرّا
مثل هلال الأفق حين افترّا	وقد عرا فناءكم معترّا
وأمّكم دون الأنام طرّا	يبغي قرًى منكم ومستقرّا
فدونكم ضيفًا قنوعًا حرّا	يرضى بما احلولى وما أمرّا
وينثني عنكم ينثّ البرّا	

[illegible]

قال الحارث بن همام فلما خلبنا بعذوبة نطقه وعلمنا ما وراء برقه ابتدرنا فتح الباب وتلقيناه

بالترحاب وقلنا للغلام هيّا هيّا وهلمّ ما تهيّا فقال الضيف والذي أحلني ذراكم

بقراكم أو تضمنوا لي أن لا تتخذوني كلًّا ولا تجشموا لأجلي أكلًا فربّ أكلةٍ

مآكل وشرّ الأضياف من سام التكليف وآذى المضيف وخصوصًا

الأسقام وما قيل في المثل الذي سار سائره

١٦

ابنا حاجبت ... وبعثت فقال ... وقد ... بها ...

بما وان رجلا من ... زوج وعيال فلما ... منها الانتقال وكان بابقعة على ما يقال طعن

عنها سرًا وهلم جرًا فما يعرف أحي هو فيتوقع أم أودع اللحد البلقع قال أبو زيد فعلمت

بصحة العلامات أنه ولدي وصدفني عن التعرف إليه صفر يدي فصلت عنه بكبد مرضوضة

ودموع مفضوضة فهل سمعتم يا أولي الألباب بأعجب من هذا العجاب فقلنا لا ومن عنده

علم الكتاب فقال أثبتوها في عجائب الاتفاق وخلدوها بطون الأوراق فما سير مثلها في

الآفاق فأحضرنا الدواة وأدواتها ورقمنا الحكاية على ما سردها ثم استنبطناه عن مثواه

في استضمام فتاه فقال إذا أثقل ردني خف علي أن أكفل ابني فقلنا إن كان يكفيك نصاب من المال سناه

لك في الحال فقال وكيف لا يقنعني نصاب صح لحسبه ... قال الراوي فالتزم منه كل منا

قسطا وكتب له به خطا فشكر عند ذلك الصنع واستنفد في الثناء الوسع حتى إنا استطلنا

واستقللنا الطول ثم إنه نشر من وشي سمره ما أزرى بالحبر إلى أن ظل التنوير وجنة الصبح

المنير فقضينا ما ليلتنا غابت ثوابتها إلى أن ناب ذو بها وكمل سعودها إلا أن نقص عودها

وزن الغزالة طمر طمور الغزالة وقال انهض بنا لنقبض الصلات ونستنض الإحالات فقد شب ...

صدوع كبدي من الحنين لولدي فوصلت جناحه حتى ... نجاحه فخرج العين في صرته فقد

... بمسرته وقال لي حين ... خطي فدينك ... عليك فقلت إنه لابد أن بعد ...

ولذلك النجيب وانا قد نكبني بحبيب فنظر الي نظرة الخادع الى المخدوع وضحك حتى تغرغرت مقلتاه بالدموع ثم انشد

يا من تظنّى السراب ماءً لما رويت الذي رويت

ما خلت ان يستسر مكري وان يخيل الذي عنيت

والله ما برة بعرسي ولا لي ابنة اكتنيت

وانما لي فنون سحر ابدعت فيها وما اقتديت

لم يحكها الاصمعي فيما حكى ولا حاكها الكميت

تخذتها وصلة الى ما تجنيه كفي متى اشتهيت

ولو تعافيتها لحالت حالي ولم احو ما حويت

فمهد العذر او فسامح ان كنت اجرمت او جنيت

ثم انه ودعني ومضى واودع قلبي جمر الغضا

المقامة المراغية

روى الحارث بن همام قال حضرت ديوان المراغة وقد جرى به ذكر البلاغة فاجمع من حضر من فرسان اليراعة
وارباب البراعة على انه لم يبق من ينقح الانشآء ويتصرف فيه كيف شآء ولا خلف بعد السلف من يبتدع
طريقة غرآء او يفترع رسالة عذرآء وان المفلق من كتاب هذا الاوان المتمكن من ازمة البيان كالعيال
على الاوائل ولو ملك فصاحة سحبان وائل وكان بالمجلس كهل جالس في الحاشية وعند مواقف الحاشية
فكان كلما شط القوم في شوطهم ونشروا العجوة والنجوة من نوطهم ينبئ تخازر طرفه وتشامخ
انفه انه مخرنبق لينباع ومجرمز سيمد الباع ونابض يبري النبال ورابض يبغي النضال فلما نثلت
الكنائن وفآءت السكائن وركدت الزعازع وكف المنازع اقبل على الجماعة وقال لقد جئتم شيئا ادا وجرتم
عن القصد جدا وعظمتم العظام الرفات وافتتم في الميل الى من فات وغمصتم جيلكم الذين فيهم لكم اللدات
ومعهم انعقدت المودات انسيتم يا جهابذة النقد وموابذة الحل والعقد ما ابرزته طوارف القرائح وبرزت فيه
الجذع على القارح من العبارات المهذبة والاستعارات المستعذبة والرسائل الموشحة والاساجيع المستملحة
وهل للقدمآء اذا انعم النظر من حضر غير المعاني المطروقة الموارد المعقولة الشوارد المأثورة
عنهم لتقادم المولد لا لتقدم الصادر على الوارد واني لاعرف الآن من اذا انشأ وشى واذا عبر
حبر وان اسهب اذهب واذا اوجز اعجز وان بده شده ومتى اخترع خرع فقال له ناظورة الديوان

وعين وبلا الاعيان من قارع هذي الصفاة وقريع هذه الصفات قال انه قرن مجالسكم وقرن
جدالكم واذا نشت فرض حبيا وادع مجيبا لسرى عجيبا فقال له يا هذا ان البغاث بارضنا
لا يستنسر والتمييز عندنا بين الفضة والفضة متيسر وقل من استهدف للنضال فخلص من الداء
العضال واستثار نقع الامتحان فلم يقذ بالامتهان فلا تعرض عرضك للفاضح ولا تعرض عن نصحة الناصح
فقال كل امرئ اعرف بوسم قدحه وسيفترى لك الليل عن صبحه فتناجت الجماعة فيما يسبر به قليبه ويعتبر
فيه تقليبه فقال احدهم ذروه في حصتي لارميه بحجر قصتي فانها عضلة العقد ومحك المنتقد فقلدوه في
هذا الامر الزعامة تقليد الخوارج ابا نعامة فاقبل على الكهل وقال اعلم اني اوالي هذا الوالي وارفع حالي بالحالي
اجالي وكنت استعين على تقويم اودي في بلدي بسعة ذات يدي مع قلة عددي فلما ثقل حاذي ونفد رذاذي
اممته من ارض محاذي بدعوته لاعادة رواي وارواء صداي فهش للوفادة وهاج وغدا بالافادة وراح فلما
استاذنته في المراح الى المراح على امل المراح قال قد ازمعت ان لا ازودك بتاتا ولا اجمع لك شتاتا
او تنشئ لي امام ارتحالك رسالة تودعها شرح حالك حروف احدى كلمتيها يعمها النقط وحروف الاخرى
لم يعجمن قط وقد استانيت بياني حولا فما احار قولا ونبهت فكري سنة فما ازداد الا سنة واستعنت
بقاطبة الكتاب فكل منهم قطب وتاب فان كنت صدقت عن وصفك فات بالبينة ان كنت من
الصادقين فقال له لقد استسعيت يعبوبا واستسقيت اسكوبا واعطيت القوس باريها
واسكنت الدار بانيها ثم فكر ريثما استجم قريحته واستدر لقحته فقال الق دواتك وخذ اداة الك

١٨

وكتب الكرم ثبت الله جيش سعودك يزين واللؤم غض الدهر جفن حسودك يشين الأروع يثيب

والمعور يخيب والحلاحل يضيف والماحل يخيف والسمح يغذي والمحك يقذي والعطاء ينجي والمطال

يشجي والدعاء يقي والمدح ينقي والحر يجزي والإلطاط يخزي واطراح ذي الحرمة غي ومحرمة بني الآمال

بغي وما ضن إلا غبين ولا غبن إلا ضنين ولا خزن إلا شقي ولا قبض راحة تقي وما فتئ وعدك يفي

وولاؤك يشفي وهلالك يضيء وحلمك يغضي وآلاؤك تغني وأعداؤك تثني وسؤددك يحمي وحسامك يفني

موصلك يحييني وما دخلك يغنيني وسماحك يغيث وسماؤك تغيث ودرك يفيض ورفدك يغيض ومالك

شيخ حكاه في ولد بنوته أمكن بطن حرمته ثبت ومدحك يحسن ثوبها غيب ومرامه يخف وأوامره تشف

وأطراؤه يجذب وملامه يجنب ووراءه ضفف بيتهم شظف وجهدهم جنف وعيشهم قشف وهو في

دمع يجيب وولهٍ يذيب وهمٍّ نصيف وكمدٍ ينيف لمأمولٍ خيّب وإهمالٍ شيّب وعاقٍ بيّب وهدوٍّ

تغيّب ولم يزغ ودّه فيغضب ولا اختبث عوده فيقضب ولا نفث صدره فينفض ولا نشز وصله فيبغض

وما يقتضي كرمك نبذ حرمه فبيّض أمله بتخفيف ألمه ينثن حامداً لعالمه ببيت لاماطله بحجب وإعطاء

نشب وما أداه نجح ودام إعلاؤه بغير موصولاً بخفض وبر وغض ما عني معه عن وحي وهمى عري والسلام

فلما فرغ من إملاء رسالته وجلّى في مجال البلاغة عن بسالته أرضته الجماعة فعلاً وقولاً وأوسعته

حباءً وطولاً ثم سئل من أي الشعوب نجاره وفي أي الشعاب وجاره فقال

غسّان أسرتي الصميمه وسروج تربتي القديمه

فالبيت مثل الشمس إشراقاً ومنزلة جسيمه

والربع كالفردوس مطيبةً ومنزهةً وقيمه

واهاً لعيشٍ كان لي فيها ولذّاتٍ عميمه

أيام أسحب مطرفي في روضها ماضي العزيمه

أختال في برد الشباب وأجتلي النعم الوسيمه

نوب الزمان ولا حوادثه الملمّه

فلو ان كربا متلف لتلفت من كربي المقيمه

او يفتدى عيش مضى لفديته بمهجتي الكريمه

فالموت خير للفتى من عيشه عيش البهيمه

تقتاده برة الصغار الى العظيمة والهضيمه

وترى السباع تنوشها ايدي الضباع المستضيمه

والذنب للايام لولا شؤمها لم تستشمه

ولو استقامت كانت الاحوال فيها مستقيمه

ثم ان خبره نما الى الوالي فملا فاه باللآلي وسامه ان ينضوي الى احشائه ويلي ديوان انشائه

فاحسبه الحباء وظلفه عن الولاية الاباء قال الراوي وكنت عرفت عود شجرته قبل ايناع

ثمرته وكدت انبه على قدره قبل استنارة بدره فاوحى الي بايماض جفنه الا اجرد عضبه من

جفنه فلما خرج بطين الخرج وفصل فائزا بالفلج شيعته قاضيا حق الرعاية ولاحيا له على

رفض الولاية فاعرض متبسما وانشد مترنما

لجوب البلاد مع المتربه احب الي من المرتبه

لان الولاة لهم نبوة ومعتبة يا لها معتبه

وما فيهم من يرب الصنيع ولا من يشيد ما رتبه

فلا تخدعنك لموع السراب ولا تأت أمرا إذا ما اشتبه
فكم حالم سره حلمه وأدركه الروع لما انتبه

المقامة السابعة

حكى الحارث بن همام قال أزمعت الشخوص من برقعيد وقد شمت برق عيد فكرهت الرحلة عن تلك المدينة دون أن أشهد بها يوم الزينة فلما أظل بفرضه ونفله وأجلب بخيله ورجله اتبعت السنة في لبس الجديد وبرزت مع من برز للتعييد وحين التأم جمع المصلى وانتظم وأخذ الزحام بالكظم طلع شيخ في شملتين محجوب المقلتين وقد اعتضد شبه المخلاة واستقاد عجوزا كالسعلاة فوقف وقفة متهافت وحيا تحية خافت ولما فرغ من دعائه أجال خمسه في وعائه فأبرز منه رقاعا قد كتبن بألوان الأصباغ في أوان الفراغ فناولهن عجوزه الحيزبون وأمرها بأن تتوسم الزبون فمن آنست ندى يديه ألقت ورقة منهن لديه فأتاح لي القدر المعتوب رقعة فيها مكتوب

لقد أصبحت موقوذا بأوجاع وأوجال
وممنوا بمحتال ومختال ومغتال
وخوان من الإخوان قال لي لإقلالي

وإعمالي بني العمال في تطليع أعمالي

فكم أصلى بإدخال وإيجال وترحال

وكم أخطر في بال ولا أخطر في بال

فلست الدهر لما جار لطفالي أطفالي

فلو كان أسناني أعلالي وإعلالي

لما حمرت آمالي آلي ولا و ا ل

ولا جررت أذيالي على مسحب إذلالي

فجرابي أجرى بي وإيمالي إيمالي

فما جربني تخفيف أثقالي بثقال

ويطفي جر بلبالي بسربال وسربال

قال الحارث بن همام فلما استعرت جذوة الأبيات نشأت تحلي مع قومها وزاد غلها فأجابني البكاء بأن لو صلة الله العجوز وأفادني بأن حلوان المعرة بخور فرصدتها وهي تستقري الصفوف صفا صفا وتستوكف الأكف كفا فكفا وما إن نجح لها عناء ولا أنجح لها رجاء استعطافها وكد ما مطافها عاذت بالاسترجاع ومالت إلى ارتجاع الشيطان ذكر نعيي فلم ينج إلى بيتي وآبت إلى الشيخ باكية للحرمان شاكية تحامل

دمع المشوق ثم خطف خطفة الباشق ومرق مروق سهم الراشق فتخالج بي أن أ
تدعو المنان إليه وناجى كبدي لمصيبة بناظريه وتوقد انفاسه وتأجيلا لعجم عوده ومشي فيه وما
كنت لأصل إليه إلا بتخطي رقاب جمع المنهي عنه في الشرع وعفت أن أتأذى بقوم أو يرمي بلوم
فقيدت مكاني وجعلت نحوه عياني إلى أن تنتهي الخطبة وتحق الوثبة فحففت اليه وتوسمته على
انجام جفنيه فاذا المعجمي المعنية ابن عاذ وإذا انه أبا زيد فعرفته حينئذ تجنبه ... انه بأخذ
نفسي وهيئته ... في غش ... وعرفاني لدي دعوي ... فانطلق وبدت مدامه على امامه
والعجوز تابعة إذا أتي لرفيقه لا يخفى عليه خاف وما استطاع وكني بحضرة عجالة مكنتني
قال يا جارتنا أنت فقلت له لا العجوز فقال ما دونها محجوز ثم فتح كريمتيه وزانا
مؤنسيه فاذا انوار وجهه تتقد كأنهما الفرقدان فابتهجت لسلامة بصره وعجبت من غرائب سيره
ولم تلبثني وارد ولا طاوعني اصطبار حتى سألته ما دعاك الى التعامي مع سيرك في المعامي وجوبك
الموامي وإيغالك في المرامي فتظاهر باللكنة وتشاغل بالحنية حتى اذا قضى وطره أتأد إلي نظره
وأنشد

ولما تعامى الدهر وهو أبو الورى عن الرشد في أنحائه ومقاصده
تعاميت حتى قيل إني أخو عمى ولا غرو أن يحذو الفتى حذو والده

ثم قال لي انهض الى المخدع فأتني بغسول يروق الطرف وينقي الكف وينعم البشرة
ويعطر النكهة ويشد اللثة ويقوي المعدة وليكن نظيف الظرف أرج العرف فتي الدق

ناعم السحق يحسبه اللامس ذرورا ويخاله الناشق كافورا واقترن به ... الاشل
مجبوبة الوصل انيقة الشكل مدعاة الى الاكل لها نحافة الصب وصقال العضب وآلة الحرب
ولدونة الغصن الرطب قال ففهمت فيما امر لاذ راعه الغمز ولم اهم الى انه قصد تخرج بادخالي
المخدع ولا نصبت انه تحرز من التوثب في استدعاء اثر الغسول فلما عدت بالملتمس في اقرب من رجع
النفس وجدت الجو قد خلا والشيخ والشيخة قد اجفلا فاستشطت من مكره غضبا واوغلت
في اثره طلبا فكان كمن قرت في الماء او عرج به الى عنان السماء

المقامة الثامنة

اخبر الحرث بن همام قال رأيت من اعاجيب الزمان ان تقدم خصمان الى قاضي معرة النعمان
احدهما قد ذهب منه الاطيبان والآخر كأنه قضيب البان فقال الشيخ ايد الله القاضي كما ايد
به المتقاضي انه كانت لي مملوكة رشيقة القد اسيلة الخد صبور على الكد تخب احيانا كالنهد
وترقد اطوارا في المهد وتجد في تموز مس البرد ذات عقل وعنان وحد وسنان وكف
وبنان وفم بلا اسنان تلدغ بلسان نضناض وترفل في ذيل فضفاض وتجلى في سواد وبياض
وتسقى ولكن من غير حياض ناصحة خدعة خباة طلعة مطبوعة على المنفعة ومطوعة
في الضيق والسعة اذا قطعت وصلت ومتى فصلتها عنك انفصلت وطالما خدمتك

فجملت وربما جنيت فآلمت ولقد استخدم هذا الفتى منها لغرض فأخدمته إياها

بلا عوض على أن يجتني نفعها ولا يكلفها إلا وسعها فأولج فيها متاعه وأطال بها استمتاعه

ثم أعادها وقد أفضاها وبذل عنها قيمة لا أرضاها فقال الحدث أما الشيخ فأصدق

من القطا وأما الإفضاء فقد وقع عن خطاء وقد رهنته على أرش ما أوهنته مملوكا لي مناسب

الطرفين منتسبا إلى القين نقيا من الدرن والشين يقارن محله سواد العين يفشي الإحسان

وينشي الاستحسان ويغذى بإنسان ويتحامى اللسان إن سود جاد وإن وسم أجاد وإذا

زود زاد وإن استزيد أزاد لا يستقر بمغنى وقلما ينكح إلا مثنى يسخو بموجوده

ويسمو عند جوده وينقاد مع قرينته وإن لم تكن من طينته ويستمتع بزينته وإن لم يطمع

في لينته [illegible] القاضي [illegible] والا [illegible]

فلا رفوا طمارا عداها البلى وتودها

جنت من يدي على خطإ مني فأخذته مقودها

فلم يقل تجل إن أجني بأنهما إذ ذاك تساويا

بل قال هات إبرة مثلها أو قيمة بعد أن تجودها

واعتاق مثلي رهنا لديه وناهيك بها سبة تؤودها

فالعين مرهى لرهنه ويدي تقصر عن أن تفك مرودها

فاسبر بذا الشرح غور مسكنتي وارث لمن لم يكن يعودها

قال فأقبل القاضي على الشيخ وقال له بغير تمويه فقال

أقسمت بالمشعر الحرام ومن ضم من الناسكين خيف منى

لو ساعفتني الأيام لم ترني مرتهنا مثله الذي رهنا

لأخصّهما ادّعاءً فكيف السبيل الى سبرهما واستنباط سرّهما فقال له مجرّب زمنه
وشاهد جموته انه لن يتمّ استخراج خبيئهما الا أبوهما فتقاضاهما عونًا يرجعهما اليه فلمّا مثلا
ن بين يديه قال لهما اصدقاني سرّ ذكركما ولكما الأمان من تبعة مكركما فأحجم الحدث واستقال
وأقدم الشيخ وقال

أنا السروجي وهذا ولدي ... والشبل في المخبر مثل الأسد

وما تعدّت يده ولا يدي ... في بزّة يومًا ولا في مسجد

وانّما الدهر المسيء المعتدي ... مال بنا حتى غدونا نجتدي

كلّ ندي الراحة عذب المورد ... وكلّ جعد الكفّ مغلول اليد

بكل فن وبكل مقصد   بالجد ان اجدى والا باليد
لنجلب الرزق من الحظ الصدي   وننفد العمر بعيش انكد
والموت من بعد لنا بالمرصد   ان لم نفاجى اليوم فاجى في غد

فقال له القاضي لله درك ما اعذب نفثات فيك وواها لك لولا اخداع فيك واني لك المنذر وعليك من الحذرين فلا تماكر بعدها الحاكمين واتق سطوة المتحكمين فما كل مسيطر يقيل ولا كل اوان يسمع القيل فعاهده الشيخ على اتباع مشورته والارتداع عن تلبيس صورته وفصل عن حضرته والخزي يلمع من جبهته قال الحارث بن همام فلم ار اعجب منها في تصاريف الاسفار ولا قرات مثلها في تصانيف الاسفار

المقامة التاسعة

قال الحارث بن همام طحا بي مرح الشباب وهوى الاكتساب الى ان جبت ما بين فرغانة وغانة اخوض الغمار لاجني الثمار واقتحم الاخطار لكي ادرك الاوطار وكنت لقفت من افواه العلماء وثقفت من وصايا الحكماء انه يلزم الاديب الاريب اذا دخل البلد الغريب ان يستميل قاضيه ويستخلص مراضيه ليشتد ظهره عند الخصام ويامن في الغربة جور الحكام فاتخذت هذا الادب اماما وجعلته لمصالحي زماما فما دخلت مدينة ولا ولجت عرينة الا وامتزجت

بحاكمها امتزاج الماء بالراح وتقويت بعنايته تقوي الاجساد بالارواح فبينا انا عند حاكم
الاسكندرية في عشية عرية وقد احضر مال الصدقات ليفضه على ذوي الفاقات اذ دخل
شيخ عفرية تعتله امراة مصبية فقالت ايد الله القاضي وادام به التراضي اني امراة من اكرم
جرثومة واطهر ارومة واشرف خؤولة وعمومة ميسمي الصون وشيمتي الهون وخلقي نعم العون
وبيني وبين جاراتي بون وكان ابي اذا خطبني بناة المجد وارباب الجد سكتهم وبكتهم وعاف
وصلتهم وصلاتهم واحتج بانه عاهد الله تعالى بحلفة ان لا يصاهر غير ذي حرفة فقيض القدر
لنصبي ووصبي ان حضر هذا الخدعة نادي ابي فاقسم بين رهطه انه وفق شرطه وادعى انه طالما
نظم درة الى درة فباعهما ببدرة فاغتر ابي بزخرفة محاله وزوجنيه قبل اختبار حاله
فلما استخرجني من كناسي ورحلني عن اناسي ونقلني الى كسره وحصلني تحت اسره وجدته قعدة
جثمة والفيته ضجعة نومة وكنت صحبته برياش وزي واثاث وري فما برح يبيعه في سوق الهضم
ويتلف ثمنه في الخضم والقضم الى ان مزق مالي باسره وانفق مالي في عسره فلما انساني طعم
الراحة وغادر بيتي انقى من الراحة قلت له يا هذا انه لا مخبا بعد بوس ولا عطر بعد عروس
فانهض للاكتساب بصناعتك واجنني ثمرة براعتك فزعم ان صناعته قد رميت بالكساد لما ظهر
في الارض من الفساد ولي منه سلالة كانها خلالة وكلانا ما ينال معه شبعة ولا ترقا له من
الطوى دمعة وقد قدته اليك واحضرته لديك لتعجم عود دعواه وتحكم بيننا بما

اذن الله فاقبل علىّ بعينه وقال . مذ وعيت قصص عيشك فرّ من عن نفسك والا كشفت
عن لبسك وامرت بحبسك فاطرق اطراق الافعوان ثم تمثل بمن تحرّب العوز وقال

اسمع حديثي فانه عجب يضحك من شرحه وينتحب
انا امرؤ ليس في خصائصه عيب ولا في فخاره ريب
سروج داري التي ولدت بها والاصل غسان حين انتسب
وشغلي الدرس والتبحر في العلم طلابي وحبذا الطلب
ورأس مالي سحر الكلام الذي منه يصاغ القريض والخطب
اغوص في لجة البيان فاختار اللآلي منها وانتخب
واجتني اليانع الجني من القول وغيري للعود يحتطب
وآخذ اللفظ فضة فاذا ما صغته قيل انه ذهب
وكنت من قبل امتري نشبًا بالادب المقتنى فاحتلب
ويمتطي اخمصي مراتب لم يلف فوقها رتب
وطالما زفت الصلات الى ربعي فلم ارض كل من يهب
فاليوم من يعلق الرجاء به اكسد شيء في سوقه الادب
لا عرض ابنائه يصان ولا يرقب فيهم إلّ ولا نسب

كأنهم في عراصهم حبب يبعد من نثرها وتحتجب

فجاد لي لما منيت به من الليالي وصرفها عجب

وصان دمعي لصبوة إن بكى بسا ورثني الهموم والكرب

وقادني دهري المليم إلى بلد كما يستشينه الحسب

فبعت حتى لم يبق لي لبد ولا ثياب لبيه انقلب

وادنت حتى انفلت ساقيتي لجملة دين من دونها العطب

ثم طويت الحشا على سغب خمسا فلما أمضني السغب

لم أر الأحمار دها عرضا أجول في بيعه واضطرب

فحلت فيه والنفس كارهة والعين عبرى والقلب مكتئب

وما تجاوزت إذ عبثت به حد التراضي فيحدث الغضب

فإن يكن غاضها توهمها أن تأتي بالنظم يكتسب

أو أنني إذ عزمت حصتها زخرفت قولي لينجح الطلب

فو الذي سارت الرفاق إلى كعبته تستحثها النجب

ما المكر بالمحصنات من خلقي ولا شعاري التمويه والكذب

ولا يدي مذ نشأت ينيطها إلا مواضي اليراع والكتب

بل فكرتي منظم القلائد لا كفي وشعري المنظوم لا السخب

وهذه الحرفة المشار إلى ما كنت أحوي بها وأجتلب

فاذن لشرحي كما ذكرت ولا ترث واحكم بما يجب

قال فلما أكمل ما شاده، وأكمل إنشاده، عطف القاضي على الفتاة بعد أن شغفته الأبيات
وقال لها أما إنه قد ثبت عند جميع الحكام وولاة الأحكام انقراض جيل الكرام وميل الأيام إلى اللئام
وإني لإخال بعلك صدوقا في الكلام وبريا من الملام وها هو قد اعترف لك بالقرض وصرح بالمحض
وبين مصداق النظم وبين أنه معروق العظم وإن إعنات المعدم ملأمة وحبس المعسر مأثمة وكتمان
الفقر زهادة وانتظار الفرج بالصبر عبادة فارجعي إلى خدرك واعذري أبا عذرك ونهنهي من غربك
وسلمي لقضاء ربك ثم إنه فرض لهما في الصدقات حصة وناولهما من دراهمها قبضة وقال
تعللا بهذه العلالة وتنديا ببلالة واصبرا على كيد زمانكما وكده فعسى الله أن
يأتي بالفتح من عنده فنهضا وللشيخ فرحة المطلق من الإسار والموسر بعد الإعسار قال الراوي
وكنت عرفت أنه أبو زيد ساعة بزغت شمسه ونزغت عرسه وكدت أفصح عن أفنانه وأثمار
ثم أشفقت من عثور القاضي على بهتانه وتزويق لسانه فلا يرى عند عرفانه أن يرشحه
لإحسانه فأحجمت عن القول إحجام المرتاب وطويت ذكره طي السجل للكتاب إلا أني
قلت بعد ما فصل ووصل إلى ما وصل لو أن لنا من ينطلق في أثره لأتانا بنفص خبره وبما ينشر من

فأتبعه القاضي أحد أمنائه وأمره بالتجسس على أنبائه فما لبث أن رجع
مقهقها فقال له القاضي مهيم يا أبا مريم فقال لقد عاينت عجبا وسمعت ما أنشأ لي طربا فقال له ماذا رأيت
وما الذي وعيت قال لم يزل الشيخ مذ خرج يصفق بيديه ويخالف بين رجليه ويغرد بملء شدقيه ويقول

كدت أصلى بلية من وقاح شمرية
وأزور   وأذوق الحبس لولا حاكم الإسكندرية

[illegible] القاضي حتى هوت دمعته وذوت سكينته فلما فاء إلى الوقار وعقّب الاستغراب بالاستغفار
قال اللهم بحرمة عبادك المقربين حرّم حبسي على المتأدبين ثم قال لذلك الأمين علي به فانطلق مجدّاً
في طلبه ثم عاد بعد لأيٍ مخبراً بنأيه فقال القاضي أما إنه لو حضر لكُفي الحذر ثم لأولينّه ما هو
به أولى ولأرينّه أن الآخرة خير له من الأولى قال الحارث بن همام فلما رأيت صغو القاضي
إليه وفوت ثمرة التنبيه عليه غشيتني ندامة الفرزدق حين أبان النوار والكسعي لما استبان النهار

المقامة العاشرة

حكى الحارث بن همام قال هتف بي داعي الشوق إلى رحبة مالك بن طوق فلبّيته ممتطياً شملّة
ومنتضياً عزمة مشمعلّة فلما ألقيت بها المراسي وشددت أمراسي وبرزت من الحمام بعد سبت
راسي رأيت غلاماً أفرغ في قا[illegible] وألبس من الحسن حلّة الكمال وقد علق شيخ بردنه
يدّعي أنه فتك بابنه والغلام ينكر عرفته ويكبر قرفته والخصام بينهما مستطير الشرر
والزحام عليهما يجمع بين الأخيار والأشرار إلى أن تراضيا بعد اشتطاط اللدد بالتنافر إلى
والي البلد وهو ممن يزنّ بالهنات ويغلّب حب البنين على البنات فأسرعا إلى ندوته كالسليك
في عدوته فلما حضراه جدّد الشيخ دعواه واستدعى عدواه فاستنطق الغلام
وقد فتنته محاسن غرّته وطوّعته تصفيف طرّته فقال إنها لإفيكة أفّاك على غير

سفاكٌ وعيْنيهِ مُحتالٌ على من لبِنَ غَنّالٍ فقال الوالي للشيخ إن شهد لك عدلان من المسلمين

وإلّا فاستوفِ منه اليمين فقال الشيخ انه جدّله خاليًا وأراق دمه خاليًا فأنّى لي شاهدٌ ولم يكن

ثَمّ مُشاهدٌ ولكن وَلِّني اليمين ليبين لك أيصدق أم يمين فقال له أنت المالك [illegible]

لمثلك علي أن تبرّ [illegible] فمال الشيخ للغلام وقال والذي زين الجباه بالطرر والعيون

بالحور والحواجب بالبلج والمباسم بالفلج والجفون بالسقم [illegible]

فلما رأيت نجح المسخ كالجمر ستر حيلة علمت أن علم سروجه تغيب بل هبت حجة سندلم

واسترت عيون الزحام فقصدت تلقاء الوالي و[illegible] الشيخ [illegible] وقلت إنه والله أبو زيد فقال إي ومحل

الصيد فقلت من هذا الغلام الذي هيمت له الأحلام قال هو في النسب نجي وفي المكتسب نجي

فقلت هلا اكتفيت بحسن فطرته وكفيت ولاة الأمر بطرته فقال لو لم تبرز جبهته السين لما

فست الخمسين ثم قال بت الليلة عندي لنطفي نار الجوى وندل هوى من الهوى فقد جمع

على أن أنسل بسحره وأبتلي قلب الوالي بارحتره قال فقضيت الليلة معه في [illegible]

زهرة وخميلة نجر حتى إذا الآلاء لاح ذنب السرحان وآن انبلاج الفجر وجز [illegible] بسرق

وأذاق الوالي عذاب الحريق وسلم إلي ساعة الفراق رقعة محكمة [illegible] وقد ذيلها إلى

إذ نَبَثَ بِهِ وخصوصاً للقراءة ففضضتها فإذا هي مقتبس من صحيفة المتلمس وإذا فيها مكتوب

قُلْ لِوالٍ غادَرْتُهُ بعدَ بَيْنِي سادِماً نادِماً يَعَضُّ اليَدَيْنِ

سَلَبَ الشيخُ مالَهُ وفَتاهُ لُبَّهُ فاصْطَلى لَظى حَسْرَتَيْنِ

جادَ بالعَيْنِ حينَ أعْمى هَواهُ عَيْنَهُ فانْثَنى بِلا عَيْنَيْنِ

خَفِّضِ الحُزْنَ يا مُعَنَّى فما يُجْدِي طِلابُ الآثارِ مِن بَعْدِ عَيْنِ

ولَئِنْ جَلَّ ما عَراكَ كما جَلَّ لَدَى المُسْلِمِينَ رُزْءُ الحُسَيْنِ عليه السلام

فلقد اعتضتَ منه فَهْماً وحَزْماً واللبيبُ الأريبُ يَبْغِي ذَيْنِ

فاعْصِ مِن بَعْدِها المَطامِعَ واعْلَمْ أنَّ صَيْدَ الظِّباءِ ليسَ بِهَيْنِ

لا ولا كُلُّ طائِرٍ يَلِجُ الفَخَّ ولو كانَ نَقْدُهُ باللُّجَيْنِ

ولَكَمْ مَن سَعَى لِيَصْطادَ فاصْطِيدَ ولم يَلْقَ غَيْرَ خُفَّيْ حُنَيْنِ

فتَبَصَّرْ ولا تَشِمْ كُلَّ بَرْقٍ رُبَّ بَرْقٍ فيهِ صَواعِقُ حَيْنِ

واغْضُضِ الطَّرْفَ تَسْتَرِحْ مِن غَرامٍ تَكْتَسِي فيهِ ثَوْبَ ذُلٍّ وشَيْنِ

فبَلاءُ الفَتى اتِّباعُ هَوَى النَّفْسِ وبَذْرُ الهَوَى طُموحُ العَيْنِ

قالَ الراوي فمَزَّقْتُ رُقْعَتَهُ شَذَرَ مَذَرَ ولم أُبالِ أعَذَلَ أم عَذَرَ

المقامة الحادية عشر

حدّث الحارث بن همّام قال آنستُ من قلبي قساوة حين حللت ساوة فأخذت بالخبر المأثور
في مداواتها بزيارة أهل القبور فلما صرت إلى محلة الأموات وكفات الرفات رأيت جمعاً على قبر
يُحفر ومجنون يُقبر فانحزت إليهم متفكراً في المآل ومتذكراً من درج من الآل فلما ألحدوا
الميت وفات قول ليت أشرف شيخ من رباوة متخصّراً بهراوة وقد لفّع وجهه بردائه ونكّر
شخصه لدهائه فقال لمثل هذا فليعمل العاملون فادّكروا أيها الغافلون وشمّروا أيها
المقصّرون وأحسنوا النظر أيها المتبصّرون ما لكم لا يحزنكم دفن الأتراب ولا يهولكم هيل التراب ولا
تعبأون بنوازل الأحداث ولا تستعدون لنزول الأجداث ولا تستعبرون لعين تدمع ولا
تعتبرون بنعيٍّ يُسمع ولا ترتاعون لإلف يُفقد ولا تلتاعون لمناحة تُعقد يشيّع أحدكم نعش الميت
وقلبه تلقاء البيت ويشهد مواراة نسيبه وفكره في استخلاص نصيبه ويخلّي بين ودوده ودوده
ثم يخلو بمزماره وعوده طالما أسيتم على انثلام الحبّة وتناسيتم اخترام الأحبّة واستكنتم
لاعتراض العثرة واستهنتم بانقراض الأسرة وضحكتم عند الدفن ولا ضحككم ساعة الزفن
وتبخترتم خلف الجنائز ولا تبختركم يوم قبض الجوائز وأعرضتم عن تعديد النوادب إلى إعداد
المآدب وعن تحرّق الثواكل إلى التأنّق في المآكل ولا تبالون بمن هو بالٍ ولا تخطرون
ذكر الموت لكم جرى كأنكم علقتم من الحمام بذمام أو حصلتم من الزمان على أمان أو وثقتم
بسلامة الذات أو تحققتم مسالمة هادم اللذات كلا ساء ما تتوهمون ثم كلا سوف تعلمون

ثم أنشد

أيا من يدعي الفهم … إلى كم يا أخا الوهم … تعبي الذنب والذم … وتخطي الخطأ الجم

أما بان لك العيب … وما أنذرك الشيب … وما في نصحه ريب … ولا سمعك قد صم

أما نادى بك الموت … أما أسمعك الصوت … أما تخشى من الفوت … فتحتاط وتهتم

فكم تسدر في السهو … وتختال من الزهو … وتنصب إلى اللهو … كأن الموت ما عم

وحتام تجافيك … وإبطاء تلافيك … طباعا جمعت فيك … عيوبا شملها انضم

إذا أسخطت مولاك … فما تقلق من ذاك … وإن أخفق مسعاك … تلظيت من الهم

وإن لاح لك النقش … من الأصفر تهتش … وإن مر بك النعش … تغاممت ولا غم

تعاصي الناصح البر … وتعتاص وتزور … وتنقاد لمن غر … ومن مان ومن نم

وتسعى في هوى النفس … وتحتال على الفلس … وتنسى ظلمة الرمس … ولا تذكر ما ثم

ولو لاحظك الحظ … لما طاح بك اللحظ … ولا كنت إذا الوعظ … جلا الأحزان تغتم

ستذري الدم لا الدمع … إذا عاينت لا جمع … يقي في عرصة الجمع … ولا خال ولا عم

كأني بك تنحط … إلى اللحد وتنغط … وقد أسلمك الرهط … إلى أضيق من سم

هناك الجسم ممدود … ليستأكله الدود … إلى أن ينخر العود … ويمسي العظم قد رم

ومن بعد فلا بد … من العرض إذا اعتد … صراط جسره مد … على النار لمن أم

فكم من مرشد ضل … ومن ذي عزة ذل … وكم من عالم زل … وقال الخطب قد طم

فبادر ايها الغمر   لما يحلو به المر   فقد كاد يهي العمر   وما اقلعت عن ذنب

ولا تركن الى الدهر   وان لان وان سر   فتلفى كمن اغتر   بافعى تنفث السم

وخفض من تراقيك   فان الموت لاقيك   وسار في تراقيك   وما ينكل ان هم

وجانب صعر الخد   اذا ساعدك الجد   وزم اللفظ ان ند   فما اسعد من زم

ونفس عن اخي البث   وصدقه اذا نث   ورم العمل الرث   فقد افلح من رم

ورش من ريشه انحص   بما عم وما خص   ولا تاس على النقص   ولا تحرص على اللم

وعاد الخلق الرذل   وعود كفك البذل   ولا تستمع العذل   ونزهها عن الضم

وزود نفسك الخير   ودع ما يعقب الضير   وهيئ مركب السير   وخف من لجة اليم

بذا اوصيت يا صاح   وقد بحت كمن باح   فطوبى لفتى راح   بآدابي يأتم

ثم حسر ردنه عن ساعد شديد الاسر قد شد عليه جبائر المكر متعرضا للاستماحة في معرض الوقاحة فاختلب به اولئك الملا حتى اترع كمه وملا ثبنه ثم انحدر من الربوة جذلا بالحبوة قال الراوي فجاذبته من ورائه حاشية ردائه فالتفت الي مستسلما وواجهني مسلما فاذا هو شيخنا ابو زيد بعينه ومينه فقلت له

الى كم يا ابا زيد   افانينك في الكيد   لتنشر لك الصيد   ولا تعبا بمن ذم

يومض الى بعضٍ وينقبض طرفه بين خفضٍ وغضٍّ وتبين لنا استضعفنا الخبر
واستسبرنا الخُبر فقال ما لكم الخير أتزجرون جدّي عبثًا وتجعلون تبري خبثا
ولكنما والله حيث مخاوف الأقطار وتجنّب مفاجأة الأخطار رغبت بها عن مصاحبة
خفيرٍ واستنجاب بحجاب غيرهم اني سأنبئكم بما نابكم واقتبس الحذر الذي نابكم لأن
أرافقكم في الغداوة وأرافقكم في السماوة فإن تعلموا عاجلًا فاجدوا واستعدوا وإن لكم
لم تسترقوا أذني وأرتقوا ذنبي فإن جرّبتم آياتي فالعجب منا عند تودداه وتحقيق ما نواه
فنزعنا عن مجادلته واستهمنا على معادلته ونصّ لنا قوله إن الآيات والعجائب
إنما الغائب والخائب ولما عقدت الرجاء وأذن الرحال شرح لنا كلمات
المراقبة لتجعلها [illegible] فما نعمنا بما لكم أم القرآن كلما طلع الموكب
ثم لبينا بلسانٍ خاضعٍ وصوتٍ خاشعٍ اللهم يا محيي الرفات ويا دافع الآفات
ويا واقي المخافات ويا كريم المكافآت ويا موئل العفاة ويا ولي العفو
صلّ على محمد خاتم أنبيائك ومبلّغ أنبائك وعلى مصابيح أسرته ومفاتيح
نصرته وأعذني من نزغات الشياطين ونزوات السلاطين وإعنات
الباغين ومعاناة الطاغين ومعاداة العادين وعدوان المعادين
وغلب الغالبين وسلب السالبين وحيل المحتالين [illegible]

واجرني اللهم من جور المجاور وبوائق الجبابر وكف عني اكف الغاشمين

واخرجني من ظلمات الظالمين وادخلني برحمتك في عبادك الصالحين اللهم

احرسني في غربتي واوبتي ونجعتي ورجعتي وتصرفي ومنقلبي

ونفسي ونشبي وعرضي وعرضي وعددي وعددي

[illegible] في هواتي الآلاء ولا تظفر بي أظفار الأعداء تك تمنيع الدعاء ثم
أطرق لا يدير لحظا ولا يحير لفظا حتى قلنا قد أبلسته خشية أو أخرسته غشية
ثم رفع رأسه وصعّد أنفاسه وقال أقسم بالسماء ذات
الأبراج والأرض ذات الفجاج والماء الثجاج والسراج الوهاج والبحر العجاج
والهواء والعجاج إنها لمن أيمن العوذ وأغنى عنكم من لابسي الخوذ من
درسها عند ابتسام الفلق لم يشفق من خطب إلى الشفق ومن ناجى بها طليعة الغسق أمن
ليلته من السرق قال فتلقفناها حتى أتقناها وتدارسناها لكي لا
ننساها ثم زجينا الحمولات بالدعوات لا بالحداة وحمينا الحمولات بالكلمات لا
بالكماة [illegible] يتعهدنا بالعشي والغداة ولا يستنجز منا العدات حتى إذا غابنا
طلائع [illegible] لنا الإعانة إلا [illegible] بسره المعلوم والمكتوم وأرباه
المعكوم والمحف قلنا له انقض ما أنت قاض فما تجد فينا غير راض فاستخفه
[illegible] ولا حلي بعينه غير العين فاحتمل منها وقره ونأى بها [illegible] ثم خالسنا
[illegible] الاستتار وانسل منا انسلال الفرار فأوحشنا فراقه وأدهشنا امراقه
[illegible] واستخبر عنه كل مغدو وغاد [illegible] مذ دخل عانة
[illegible] هذا القول بسبكه والإلباك فيما بيت من [illegible]

فادلجت إلى الدسكرة في هيئة منكرة وإذا الشيخ في حلة ممصرة بين
دنان ومعصرة وحوله سقاة تبهر وشموع تزهر وآس وعبهر ومزمار ومزهر
وهو تارة يستبزل الدنان وطورًا يستنطق العيدان ودفعة يستنشق الريحان
وأخرى يغازل الغزلان فلما عثرت على لبسه وتفاوت يومه وأمسه قلت له أولى لك
يا ملعون أأنسيت يوم جيرون فضحك مستغربًا ثم أنشد مطربًا

لزمت السفار وجبت القفار وعفت النفار لأجني الفرح
وخضت السيول ورضت الخيول لجر ذيول الصبى والمرح
ومطت الوقار وبعت العقار لحسو العقار ورشف القدح
ولولا الطماح إلى شرب راح لما كان باح فمي بالملح
ولا كان ساق دهائي الرفاق لأرض العراق بحمل السبح
فلا تغضبن ولا تصخبن ولا تعتبن فعذري وضح
ولا تعجبن لشيخ أبن بمغنى أغن ودن طفح
فإن المدام تقوي العظام وتشفي السقام وتنفي الترح
وأصفى السرور إذا ما الوقور أماط الستور جما وترح
وأحلى الغرام إذا المستهام أزال اكتتام الهوى وافتضح

واخو الحيلة المحتال واذ خاب لم يُلم

قال الراوي فعرفت حينئذ انه ابو زيد ذو اللوثة وعيب مسود وجه الشيب

وساءني عظم تمرده وقبح تورده فقلت له بلسان الانفة واذلال المعرفة اما آن

يا شيخ ان تقلع عن الخنا فتضجر وتنمر وتنكر وفكر ثم قال يا بني

لا نلاح ونهزة شرب راح لا لقاح فبعدا الى ان تلالا عند تفرقة وتامن

من حيث به [illegible] ونُسبين أبا جلاد الله على نيل خطى القدم إلى أبنية
الكرام لا الكرم وعاهدته [illegible] استجابة الله [illegible] خضر بعيدها جانبه بنادٍ ووعظت
ببغداد وأن لا أشهد معصرة الشراب ولو ردّ على عصر الشباب ثم إنا رحلنا
العيس وقت الغلس وخلينا بين الشيخين أبي زيد وإبليس ٥

المقامة الثالثة عشر

روى الحرث بن همام قال ندوت بضواحي الزوراء مع مشيخة من الشعراء لا يعلق لهم
مبارٍ بغبار ولا يجري معهم ممارٍ في مضمار فأفضنا في حديث يفضح الأزهار إلى أن
نصفنا النهار فلما غاض درّ الأفكار وصبت النفوس إلى الأوكار لمحنا عجوزًا تقبل
من البعد وتحضر إحضار الجرد وقد استتلت صبية أنحف من المغازل وأضعف من الجوازل
[illegible] إذ رأتنا أن عرتنا حتى إذا ما حضرتنا قالت حيا الله المعارف وإن لم يكن معارف
اعلموا يا آل الآمال وثمال الأرامل أني من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل
أهلي [illegible] ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الأعضاد
وفجع بالجوارح [illegible] البطن نبا الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة
وصلد [illegible] ووهنت اليمين وبان الشمال [illegible] ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبرّ العيش الأخضر

وان زور المجنوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فودي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت
الاحمر وتلوي من يتلو عقبه قارة وترجمان اصفراره قصوى بغية احدهم بردة وقصارى
منيته بردة وكنت آليت ان لا ابذل الحر الا للحر ولو انى مت من الضر وقد ناجتني القرونة بان
يوجد عندكم المعونة وآذنتني فراسة الجواب بانكم ينابيع الحباء فنضر الله امرا ابر قسمي وصدق
توسمي ونظر الي بعين يقذيها الجمود ويقذيها الجود قال فهمنا لبراعة عبارتها وملح
استعارتها وقلنا لها قد فتن كلامك فكيف الحامك فقالت تفجر الصخر ولا فخر فقلنا ان
جعلتنا من رواتك لم نبخل بمواساتك فقالت لأرينكم اولا شعاري ثم لاروينكم اشعاري فابرزت
ردن درع دريس وبرزت برزة عجوز درديس وانشأت تقول

اشكو الى الله اشتكاء المريض ريب الزمان المعتدي البغيض
يا قوم اني من اناس غنوا دهرا وجفن الدهر عنهم غضيض
فخارهم ليس له دافع وصيتهم بين الورى مستفيض
كانوا اذا ما نجعة اعوزت في السنة الشهباء روضا اريض
تشب للسارين نيرانهم ويطعمون الضيف لحما غريض
ما بات جار لهم ساغبا ولا لروع قال حال الجريض
فغيض منهم صروف الردى بحار جود لم اخلها تغيض

وأودعت منهم بطون الثرى أسد التحامي وأساة المريض

فحلني بعد المطايا المطا وموطني بعد يفاع الحضيض

وأفرخي ما تأتلي تشتكي بؤساً له في كل يوم وميض

إذا دعا القانت في ليله مولاه نادوه بدمع يفيض

يا رازق النعاب في عشه وجابر العظم الكسير المهيض

أتح لنا اللهم من عرضه من دنس الذم نقي رحيض

يطفي نار الجوع عنا ولو بمذقة من حازر أو مخيض

فهل فتى يكشف ما نابهم ويغنم الشكر الطويل العريض

فوالذي تعنو النواصي له يوم وجوه الجمع سود وبيض

لولاهم لم تبد لي صفحة ولا تصديت لنظم القريض

قال الراوي فوالله لقد صدعت بأبياتها أعشار القلوب واستخرجت خبايا الجيوب
حتى ماح لها من دينه الامتياح وارتاح لرفدها من لم يخل يرتاح فلما افعوعم جيبها تبرا
وأولاها كل منا برا تولت يتلوها الأصاغر وفوها بالشكر فاغر فاشرأبت الجماعة
بعد ممرها لسبرها لتبين مواقع برها فكفلت لهم استنباط السر المرموز ونهضت
أقفو أثر العجوز حتى انتهت إلى سوق مغتصة بالأنام مختصة بالزحام فانغمست في الغمار

وَاَمْلَسْتُ مِنَ الصِّبْيَةِ الْاَغْمَارِ ثُمَّ عَاجَتْ بِخَلَدِي بَالٍ إِنْ مَنْحِلٍ خَالٍ فَاَمَّا صِنْجَب
وَنَصَّتِ لِعَقَابِ وَاَنَا اَلْحِمَا مِنْ خَصَاصِ نَب وَاَرْقُبُ مَا سَتَبْدَى مِنَ الْعُجَابِ فَلَمَّا اَنْسَرَتْ

اُهْبَةُ الْحُفَرِ رَاَيْتُ مُجَالِي زَيْدٍ فِيهَا فَهَمَمْتُ بِاَنْ اَهْجُمَ عَلَيْهِ لِاُعَنِّفَهُ عَلَى
فَاَسْلَفَنِي سَلَفًا الْمُتَمَرِّدِ بِهِ ثُمَّ رَفَعَ عَقِيرَةَ الْمُغَرِّدِ وَاَنْدَفَعَ يُنْشِدُ
يَا لَيْتَ شِعْرِي اَدَهْرِي اَحَاطَ عِلْمًا بِقَدْرِي

استأذنت فقال أما أنا فعافٍ وطالب إسعاف وشريدٌ عن خيفٍ و...
الى شفيعٍ لي كافٍ وأما الأنساب التي علونها الأنساب فما هو بعجاب إذ ما الأرحام
حجاب فقلنا له أنّى اهتديت إلينا وبمَ استدللت علينا فقال إن للكرم نشرًا تنمّ الفجانه
وترشد الى روضه فوحانه فاستدللت بأرج عرفكم على بلج غرفكم وبشّرني تضوّع ندّكم
بحسن المنقلب من عندكم فاستخبرناه حقيقة عن نبأته لتكمل بأمانته فقال إن لي مآربًا ولغاي
مطلبًا فقلنا كلا المرامين ستقضى وكلاه سوف يرضى ولكن الخبر الخبر فقال أجل ومن دحا
لتسبيع الغبر ثم وثب للمقال كالمنتشط من العقال وأنشد

إني امرؤ أُبدِعَ بي بعد الوجى والتعب
وشُقّتي شاسعةٌ يقصر عنها خببي
وما معي خردلةٌ مطبوعةٌ من ذهب
فحيلتي منسدّةٌ وحيرتي تلعب بي
إن أنا خلّفت رحلي خفت دواعي العطب
وإن تخلّفت عن الرفقة ضاق مذهبي
فرُبَّني في صعدٍ وعبرتي في صبب
وأنتم منتجع الراجي ومرمى الطلب

هالة منهله ولا انهلال النجب — وجاركم في جرم ود وكم في جرب

ما لاذ من ناع بكم فخاف ناب النوب — ولا استدر آمل جاكم فما خيب

فانعطفوا في قصتي واحتنوا لمنقلبي — فلو بلوتم عيشتي في مطعمي ومشربي

لساكم ضري الذي اسلمني للكرب — ولو خبرتم حسبي ونسبي ومذهبي

وما حوت معرفتي من العلوم النخب — لما اعتركم شبهة في ان دآب ادبي

فليتني لم اكن ارضعتني الادب — فقادها لي شؤمه وعقني فيه ابي

فقلنا له اما انت فقد صرحت ابياتك بفاقتك وعطبت فاقتك وسنعطيك ما يوصلك الى بلدك فاما ابنك ولدك فقال له قم يا بني كما قام ابوك وفه بما في نفسك لا فض فوك فنهض نهوض البطل للبراز واصلت لسانا كالعضب الجراز وانشا يقول

يا سادة في المعالي لهم مبان مشيدة

ومن اذا ناب خطب قاموا بدفع المكيدة

ومن يهون عليهم بذل الكنوز العتيدة

اريد منكم شوا وجردقا وعصيدة

فان غلا ذا فثوب به تواري الشهيدة

ان لم يكن ذا ولا ذا فشبعة من ثريدة

وَاِنْ تَعَذَّرَ زَنْطَرًا فعجوةٌ وَنَهِيدَة

فَاغْفِرُوا اماتتي وَلَوْ تَشَظَّى مِنْ قَدِيدَة

وَرَوِّحُوهُ فَنَفْسِي لِمَا يَرُوحُ مُسْتَزِيدَة

وَالزَّادُ لَا بُدَّ مِنْهُ لِرِحْلَةٍ لِي بَعِيدَة

وَاَنْتُمْ خَيْرُ رَهْطٍ يُدْعَوْنَ عِنْدَ الشَّدِيدَة

اَيْدِيكُمْ كُلَّ يَوْمٍ لَهَا اَيَادٍ جَدِيدَة

وَرَاحُكُمْ وَاصِلَاتٌ تَمَلُّ الصِّلَاتِ الْمُفِيدَة

وَبُغْيَتِي فِي مَطَاوِي مَا تُوفِدُونَ زُبَيْدَة

ذِي آجُرٍّ وَعَقْبِي سَفِينٍ كَنْزِي جَمِيدَة

وَلِي نَتَائِجُ فِكْرٍ يَفْضَحُ كُلَّ قَصِيدَة

قَالَ الْحَارِثُ بْنُ هَمَّامٍ فَلَمَّا رَأَيْنَا الشِّبْلَ يُشْبِهُ الْأَسَدَ اَجَلْنَا الْوَالِدَ وَزَوَّدْنَا الْوَلَدَ فَقَابَلَا الصُّنْعَ بِشُكْرٍ نَشَرَا رِدْيَةً وَادَّبَا بِهِ دِينَهُ وَلَمَّا عَزَمَا عَلَى الْانْطِلَاقِ وَعَقَدَ لِلرِّحْلَةِ حُبُكَ النِّطَاقِ قُلْتُ لِلشَّيْخِ هَلْ صَاحَبْتَنَا عِدَةَ عُرْقُوبٍ اَوْ هَلْ بَقِيَتْ حَاجَةٌ فِي نَفْسِ يَعْقُوبَ فَقَالَ حَاشَ لِلّٰهِ وَكَلَّا بَلْ حَلَّ مَعْرُوفُكُمْ وَجَلَّا فَقُلْنَا لَهُ فَاِذَا كَمَا دَنَا وَاَفَدْنَا كَمَا اَفَدْنَاكَ اَيْنَ الْتَّدْبِيرُ فَقَدْ مَلَكْنَا فَبَلِّ الْحَيْرَةَ تَنَفَّسْ نَفْسُهُ مِنْ ...

شدو والتمني يلعثم لسانه

وح دارد ولكن كيف السبيل اليها

وقد باح الاعادي بها واخنوا عليها

التي جنة الذنوب لديها

في مدة عمر فيها

٤١

ثم راغ وذرفت منا الدموع وآذنت مدامعه بالهموع فلما آن بين المتولهين ولم

ولم يبق الا ان يركبها فقطع انشاده المستنجلي واوجز في الوداع وولّى

المقامة الخامسة عشرة

من الحجاب باظري ما حار ناظري فقال يا ضعيف الثقة بأسبل المقة عدّ عما بالك إن يبيع

إلى لا أبا لك فقلت هات يا أخا الزهاد فقال اعلم أني بتّ البارحة حليف فلاة ونجي

فلما قضى الليل نحبه وغوّر الصبح شهبه غدوت وقت الإشراق إلى بعض الأسواق متصدّيا

لتسبّب ينتج أو حرّ يبتاع فلحظت بها شرا قد جمش نصيفه وأحسن إليه مصيفه فجمع

على النحف صفاء الرحيق وقنوء العقيق وقابلته لبا قد برز كالإبريز الأبيض والجلي في اللون

المرغف نوشني على طاهيه ويصوب إذ سبته ولو نفذ حبة القلب فيه فأسرني

الشهوة بأشطانها وأسلمتني القيمة إلى سلطانها فبقيت أحير من ضب وأذهل من صب

دوحد يوسلني إلى نيل المراد ولذة الازدراد ولا فوه يطاوعني على الذهاب مع حرقة

الالتهاب لكن جدّي إلى القدم وتوزّنه والبعث وقوّة على أن أنجع كل أرض وأقنع من

الورد بشرين فلم أزل بحالة ذلك النهار أدلي دلوي إلى الأنهار وفي لا أرجع ببلة ولا أحظ

نقع غلّة إلى أن صغت الشمس للغروب وضعفت النفس من اللغوب فرحت بكبد

حرّى وأسف أقدّم رجلا وأؤخّر أخرى وبينما أنا أتعب وأقعد وأهبّ وأرصد

إذ قابلني شيخ بناوه آهة للكلال وعيناه تهملان فأشغلني ما أنا فيه من ... ب

والحوى المنيب عن تعاطي مداخلته والطمع في مخالبته فقلت له يا هذا إن بكاءك شورا

ووراءك جزولست أفاطلعني على حالك واتخذني من نصحاء ذلك ... سمعا ... وعونا

مترتبيا فقال والله ما أتوه بعيب فأنف ولا أعزو هزءا فأقف بل لانقراض العلم ودروسه

وأفول أقماره وشموسه فقلت وأي حادثة نجمت وقضية سجمت حتى هاجت الأسف على فقد

من سلف فأبرز رقعة من كمه وأقسم بأبيه وأمه لقد تأولها بأعلام المدارس فما آنسوا عن الأعلام

الدوارس فاستنطق لها أحبار المحابر فخرسوا ولأحرى سكان المقابر فقلت أرنيها فلعلي أغني

فيها فقال لما أبعدت في المرام ورب رمية من غير رام ثم ناولنيها فإذا المكتوب

فيها

أيها العالم الفقيه الذي فاق ذكاء فما له من شبيه

أفتنا في قضية حار فيها كل قاض وحار كل فقيه

رجل مات عن أخ مسلم حر تقي من أمه وأبيه

وله زوجة لها أيها الحبر أخ خالص بلا تمويه

فحوت فرضها وحاز أخوها ما تبقى بالإرث دون أخيه

فاشفنا بالجواب عما سألنا فهو نص لا خلف يوجد فيه

فلما قرأت شعرها ولمحت سرها قلت له على الخبير سقطت وعند ابن بجدتها حططت إلا

أني مخطوه الأجناء مضطر إلى الغذاء فأكرم مثواي ثم استمع فتواي فقال لقد

انصفت في الاشتراط وتجافيت عن الاشتطاط فصر معي إلى مربعي لتظفر بما تبغي وتلف

كما ينبغي قال فصاحبته إلى ذراه كما حكم الله فأدخلني بيتا أحرج من التابوت وأوهن

٤٣

من بين العسكريين الا انه جمر تنبو ربعه بتوسعة ذرعه فحكمني في القدرت

ومصايب ما اشتري فقلت ازبد زبدي على التمر مركوب وانفع صاحب مع اضر مصحوب

فافكر ساعة طويلة ثم قال لعلك تعني بنت نخيلة مع لبا نخيلة فقلت اياهما عنيت

ولاجلهما نعيت فنهض نشيطا ثم ربض مستنبطا وقال اعلم ابقاك الله ان الصدق نباهة

والكذب عاهة ولا اجمال الجوع الذي هو شعار الانبياء وحلية الاولياء على ان تلحق بزمان

وتعلق بالحلق الذي يجانب الايمان فقد تجوع الحرة ولا تاكل بثدييها وتابى الدنية ولو اضطرت

البهانة اني لست لك بزبون ولا اعمى على صفقة مغبون وها انا قد [illegible] لم تسل

ان تهتك الستر ويعقد بيننا الوتر فلا تلح تدبر الاذان وجذار من مكاذبة جذار

فقلت له والذي حرم اكل الربا واحل اكل اللبا ما فهت بزور ولا دليته بغرور [illegible]

حقيقة الامر وحمد بذل اللبا والتمر فهش هشاشة المصدوق وانطلق معتدا الى

السوق وكان اسرع من اقبل بهما يدلج ووجهه من التعب يتاجج فوضعهما لدي ووضع المنن

على وقال ادب الجبين بالحسن تحظ بلذة العيش فجبرت عن تابع النهم وحملت حملة

الليث الملتهم وهو ملحظي لحظ الحنق ويود من الغيظ لو اختنق حتى اذا لقمت الرغيف

وغادرتهما اثرا بعد عين افردت حيرة في ظلال الثبات وفكرة في جواب الابيات فما

عتم ان قام واحضر الدواة والاقلام وقال قد ملات الجراب فامل الجواب والا فهبا ان كان دبسلام

لا غرام ما اكلت فقلت ما تجد عندي الا تحقيق فاكتب الجواب وبالله التوفيق

قل لمن يلغز المسائل اني كاشف سرها الذي يخفيه

ان ذا الميت الذي قدم الشرع اخا عرسه على ابن ابيه

رجل زوج ابنه عن رضاه بحماة له ولا غرو فيه

ثم مات ابنه وقد علقت منه فجاءت بابن يسر ذويه

فهو ابن ابنه بغير مراء واخو عرسه بلا تمويه

وابن الابن الصريح ادنى الى الجد واولى بارثه من اخيه

فلذا حين اوجب للزوجة من الميراث تستوفيه

وحوى ابن ابنه الذي هو في الاصل اخوها من امها ابنه

وتخلّى الأخ الشقيق من الإرث وقلنا بحقّه أن تكبه

هاك منّي الفتيا التي يحتذيها كلّ قاضٍ يقضي وكلّ فقيه

فلمّا أنشد الجواب واستثبتُّ منه الصواب قال لي أهلك والليل فشمّر الذيل وبادر السيل فقلت له في تعزّبي وفي ثوائي أفضل قربة لا سيّما وقد غاض جنح الظلام وشحّ الرعد في الغمام فقال إليك عنّي فما لك إلّا حيث شئت ولا تطمع في أن تبيت قلت ولم ذاك مع خلوّ ذراك فقال لأنّي أعمنت النظر في التقامك ما حضر حتّى لم تبق ولم تذر وإنّك لا تنظر في مصلحتك ولا تراعي خفّة معدتك ومن أمعن فيما أمعنت وبطن ما بطنت لم يخلص من كظّة مدنفة أو هيضة متلفة فدعني بالله لقاء واخرج عنّي ما دمت

فوالّذي يحيي ويميت ما لك عندي مبيت فلمّا سمعت بيته [illegible] خرجت من بيته

بات بنعم ونزود لعمر يجود لي السما ويخبط بي الضما ويجتني الدب في شفا ذفني الابواب

حتى يا فني الليل بضعف الضياء فتذكر البدء البيضاء فقلت له حبب بلياليك المشالج

الى قلبي المزاج ثم اخذ يبين في حكاياته ويتبسط نفحاته بمبكياته الى ان عسعس الف

الصباح ونقد داعي الفلاح فناه بإجابة الداعي ثم عصف بي وداعي فعقبته عن

الاسعاف وقلت الضيافة ثلاث فانشد وزح ثم ام المحج وانشد ذو عرج

لا تزر من تحب في كل شهر غير يوم ولا تزده عليه

فاجتلاء الهلال في الشهر يوم ثم لا تنظر العيون اليه

قال الحارث بن همام فودعته بلشذاذتي الفرح ووددت لو ان ليلتي نصبة الصبح

المقامة السادسة عشر

حكى الحارث بن همام قال شهدت صلوة المغرب في بعض مساجد المغرب

فلما اديتها بفضلها وشفعتها بنفلها اخذ طرفي رفقة قد انتبذوا ناحية وامتازوا لخلوة

صافية وهم يتعاطون كاس المنافثة ويقتدحون زناد المباحثة فرغبت

في محادثتهم لكلمة تستفاد او ادب يستزاد فسعيت اليهم سعي المتطفل عليهم

وقلت هل تقبلون نزيلا يطلب جنى الاسمار لا جنى الثمار ويبغي ملح الحوار لا

فلما آن خروجه فجلوا الى الخبا وقالوا مرحبا مرحبا فلم أجلس الا كلحظة بارق خاطف ونعبة

طائر خائف حتى غشينا جواب على عاتقه جراب فحيا بالكلمتين وحيا المسجد بالتسليمتين

ثم قال يا ذوي الالباب وذوي الفضل اللباب أما تعلمون أن أشرف القربات تنفيس

الكربات وأمتن أسباب النجاة مواساة ذوي الحاجات وأني والذي أنالكم

واتاح لي استماحتكم لشريد محل قاص وبريد صبية خماص [illegible]

بمساجد المجاعة فسألوه لم يا هذا انك حضرت بعد العشاء ولم تنو الافصاح
العشاء فان كنت بها فنوعا فما نحب فينا منوعا فقال ان اخا الشدائد ليقنع بلفاظات
الموائد ونفاضات المزاود فامر كل منهم عبده بان يزوده ما عنده فاعجبه الصنع
وشكر عليه وجلس يرقب ما يحمل اليه وتناجزنا الى استثارة ملح الادب وعيونه
واستنباط معينه من عيونه الى ان جلنا فيما لا يستحيل بالانعكاس كقولك ساكب كاس
فتداعينا الى ان نستنتج له الافكار ونفترع منه الابكار على ان ينظم البادي ثلاث
جمانات في عقد ثم يندرج الزائد من بعده فيربع ذو ميمنته في نظمه ويسبع
صاحب ميسرته على رغمه قال الراوي وكنا قد انتظمنا عدة اصابع الكف والفنا
الفة اصحاب الكهف فابتدر لعظم محنتي صاحب ميمنتي وقال لم اخا ملل وقال
ميامنه كبر رجا اربك وقال الذي يليه من يرب اذا بر ينم وقال الآخر سكت
كل من نم لك تكلم وافضت النوبة الي وقد تعين نظم السمط السباعي علي
فلم يزل فكري يصوغ ويكسر ويثري ويعسر وفي ضمن ذلك استطعم فلا اجد
من يطعم الى ان كد النسيم وحصحص التسليم فقلت لاصحابي لو حضر السروجي
هذا المقام لشفى الداء العقام فقالوا لو انزلت هذه بابن لامسك علي باب
وجعلنا نتفاوض في استصعابها واستغلاق بابها وذلك الزور المعتري يلحظنا لحظ

المزدري ويؤلف الدرر وبحر لا يندري فلما عثر على افتضاحنا ونضوب ... ١٥

فقال ان من العناء العظيم استيلاد العقيم والاستشفاء بالسقيم وفوق كل ذي علم

عليم ثم اقبل علي وقال سانوب منابك واكفيك ما نابك فان شئت ان تنثر ولا تغير

فقل لمخاطبك لم ذمّ البخل واكثر العذل لذ بكل مؤمّل اذا المّ وملك بذل وان

احببت ان تنظم فقل للذي تعظم

أُسْ أرملًا اذا عرا وارع اذا المرء اسا

اسند اخا نباهة ابن اخاء دنسا

اسل جناب غاشم مشاغب ان جلسا

اسكن تقوّ فعسى يسعف وقت نكسا

قال فلما سحرنا ببيانه وحيّرنا ببعد غاياته مدخا حتى استغفى ومجّاه الى ان

استكفى ثم شمر ثيابه وازدفر جرابه ونهض ينشد

لله در عصابة سدّوا المقال مقاولا

فاقوا الانام فضائلا ماثورة وفواضلا

جاورتهم فوجدت سحبانا لديهم باقلا

وحللت فيهم سائلا فلقيت جودا سائلا

ورحّبا بكم اذ جئتم غير اني قصد تنكّركم واطفا بي نضوء فوز من بغ

ويدعون لي بوشك الرجوع وارايته انوي نحا مرهم الطائر ولم يتنف لي العيش

فدعوته ذو فاسد تحسنهم وانبع عصيهم ثم انقلب اليكم على الا ومنا ها

للتسير الى البحر فقلنا لاحد الغلمة اتبعه الى قبره يدعو انبرع لقيته فانطلق

معه مضطبنا جرابه ومحتجنا ايابه فابطا ابطاجا وزجاده ثم عاد [illegible] فلما

وجده فقلنا ما عندكم من الحديث عن الخبيث فقال الخبيث [illegible] زمعه

وشبل متشعبة حتى افضينا الى ديره خربه فقلنا [illegible]

حدث الحرث بن همام قال لحظت في بعض مطارح البين ومسارح الحين سبعة

عليهم سيما الحجى وطلاوة نجوم الدجى وهم في مماراة متشددة الهبوب ومباراة متشعبة

الالهوب فهرعت لقصدهم هوى المحاضرة واستجلاء جنى المناظرة فلما التحفت بمرطهم

وانتظمت في سمطهم قالوا أنت ممن يستملي في الهيجاء ويدلي دلوه في الدلاء فقلت بل

انا من نظارة الحرب لا من أبناء الطعن والضرب فانزووا عن محاجتي وافاضوا في التناجي

وكان في حبوة حلقتهم والكبل رفقتهم شيخ قد برته الهموم ولوحته السموم

حتى عاد انحل من قلم واقحل من حلم الا انه كان يبدي العجاب اذا اجاب ويبتسم كحباب

كلما ابان فاعجبت بما اوتي من الاصابة والتبريز على تلك العصابة وما زال يفصح كل معمى ويسمي

في كل مرمى الى ان خلت الجعاب ونفد السؤال والجواب فلما رأى انفضاض القوم وانحطاطهم

الى السوم عرض بالمطارحة واستأذن في المفاتحة فسألوه الحبذا ومن لنا بذا فقال ان عوز

رنا له ارضها سماؤها وصبحها مساؤها تحت على منوال البر وهن بن فيز وصلت الى حسنين

وبذت ذات وجهين ان نزعت عن مشرقها فانها مبين يرونها وان طلعت من مغربها فبه

قال وكان القوم رموا بالصمات وحقت عليهم كلمة الانصات فلبس منهم انسان ولا داناه

لهم لسان فحين رآهم كالانعام صموتا كالاصنام قال لهم قد اجلتكم اجل

العدة وارخيت لكم طول المدة فهاهي مجمع الشمل وموقف الفصل ويحث

حو صدورهم مدحنا وإن صلدت زنادكم قدحنا فقالوا له والله ما لنا في لجة هذا البحر مسبح
ولا في ساحله مسرح فأرح أفكارنا من الكد وهب لنا العطية بالنقد واتخذنا إخوانا يثنون
ويثبتون متى استثبت فأطرق ساعة ثم قال سمعا لكم وطاعة فاستملوا مني واثبتوا

الإنسان صنيعة الإحسان ورب الجميل فعل الندب وشيمة الحر ذخيرة الحمد
وكسب الشكر استثمار السعادة وعنوان الكرم تباشير البشر واستعمال المداراة يوجب المصافاة
وعقد المحبة يقتضي النصح وصدق الحديث حلية اللسان وفصاحة المنطق سحر الألباب
وشرك الهوى آفة النفوس وملك الخلائق شين الخلائق وسوء الطمع يباين الورع
والتزام الحزامة زمام السلامة وتطلب المثالب بئس المعايب وتتبع العثرات يخفر المودات
وخلوص النية خلاصة العطية وتهنئة النوال من السؤال ومن الكذب يسهل الكلف
ونشر المعونة يبني المروءة وفضل الصدر سعة الصدر وزينة الرعاة مقت السعاة
وجزاء المدائح نيل المنائح ومهر الوسائل تشفيع المسائل ومجلبة الغواية استغراق الغاية
وتجاوز الحد يكل الجد وتعدي الأدب يحبط القرب وتناسي الحقوق يشنع العقوق
وتجافي الريب يرفع الرتب وارتفاع الأخطار باقتحام الأخطار وسمو الأقدار بهوان الأقدار
وشرف الأعمال في تقصير الآمال وإطالة الفكرة تنقح الحكمة ورأس الرياسة تهذيب السياسة
ومع اللجاجة تلغى الحاجة وعند الأوجال تتفاضل الرجال وبتفاضل الهمم تتفاوت القيم

وتمويه السفير يهن التدبير   وتخلل الاخوان بستر الاقوال   وبموجب [illegible]

واستحقاق الاحماد بحسب الاجتهاد   ووجوب الملاحظة كفاء المحافظة   وصفاء المودات بتعهد الموالي

وتحلي المرء بحفظ الامانات   واختبار الاخوان بتخفيف الاحزان   ودفع الاعداء بكف الاودآء

وامتحان العقلاء بمقارنة الجهلاء   ونشر العوارف يؤمن المعاطب   واتقاء الشنعة بنشر الشنعة

ووفق الجفاء ينافي الوفاء   ووجوه الاحرار عند الابرار   ثم قال لعبده ما تأ

لفظة تحتوي على ادب وعظة فمن شاء فينا هذا المساق فلا امترا ولا انفاق ومن رام عكس

قالبها وان يردها على عقبها فليقل   الابرار عند الاحرار وجوه والوفاء ينافي الجفا

وفق البيعة بنشر السنعة   ثم على هذا المنهج فلينتحها ولا يرهبها حتى يكون

خاتمة فقرها واخرة دررها ورب الاحسان صنيعة الانسان قال الراوي

فلما صدع برسالته الفريدة واملوحته المفيدة علمنا كيف يتفاضل الانشا

وان الفضل بيد الله يؤتيه من يشاء ثم اعلق كل منا بذيله وفلذ فلذة

من نيله فابى قبول فلذتي وقال لست ارزا بلغة مرتهني فقلت له ان ابيت على تحوب

تحسنك ونصوب ما وجدنك فقال انا موعلي بحولي وقولي وثقف مجولي فاحذرت في

تشويه على تشريفه وتغريبه بحولو واسترجع   ثم انشد من قلب موجع

ثكل الزمان على عصبة يروعني واحد عن به

وشكل من جفني كراه مراغما وأسال غربه
وجالني في الأفق طوى شرقه وأجوب غربه
فبكل جو طلعة في كل يوم لي وغربه
وكذا المغرب شخصه متغرب ونواه غربه
ثم ولى يجر عطفه ويخطر بيديه ونحن بين ملتفت لبيه ومتهافت عليه

ثم لم نلبث ان حللنا الحبا وتفرقنا ايادي سبا

المقامة الثامنة عشر

حكى الحرث بن همام قال فصلت ذات مرة من الشام نحو مدينة السلم في ركب من بني
نمير ورفقة اولي خير ومير ومعنا ابو زيد عقلة العجلان وسلوة الثكلان وعجوبة الزمان
والمشار اليه بالبنان ولسان البيان مع اذ فيرز وانا سنجار اولم بها احد التجار ودعا الجم ما اجتهم
اجفلى من الحضارة والفلاحين بدعوته الى الحافلة وجمع فيها بين الفريضة والنافلة فلما
اجبنا مناديه وجلسنا بمأدبته احضر من اطعمة اليد واليدين ما حلا في الفم وحلي بالعين
ثم قدم جاما كأنما جمد من الهواء او جمع من الهباء او صيغ من نور الفضاء او قشر
من الدرة البيضاء وقد اودع الوان الفواكه ونم بالطيب العميم وسقي اليه شرب من تسنيم
وشغر عن لمى وشنب واخلس تبسما الا خمست بحضرة الشهوات وفرضة للحجرة للهوات
وثار فليس يسمع يهذا الغارات وينادي عند نهضه الليل بانا بنيد
كالمجنون وتباعد عنه تباعد الضب من النون فراودناه على ان يعود الا يكون لعذر
في تنود منا او الذي يبشر دموات من لجار لا عدت دون رفع اجاه فلم نجد
بدا من اتباعه فاستلناه والعقول معه سائلة والدموع عليه سائلة

وصلت الفلوات بالسرى وإن بسمت ذرت الجمان ببيع المرجان بالمجان وإن رنت فضحت البلابل
وجففت سحر بابل وإن نطقت عقلت لب العاقل واستنزلت العصم من المعاقل وإن قرأت
نفثت المفقود واحببت المودود وخلتها أوتيت من مزامير داود وإن غنت ظل معبدا
لها عبدا ونيل مخففا لا يجري بعبد وإن [illegible] رنت ما ضحى زناه عندها زنيما بعد أن كان
لجيد زعيما وبالاضطراب زعيما وإن رقصت أمالت العمائم عن الرؤوس وأنستك رقص
الحبب في الكؤوس فكنت أزدري معها حمر النعم وأجتلي بتمليها جيد النعم وأحجب
مرآها عن الشمس والقمر وأذود ذكراها عن شرائع السمر وأنا مع ذلك أبيح من
أن يستري رياها الريح أو يكمن بها شطيح أو ينم عليها برق مليح فاتفق لوشك الحظ
المنحوس ونكد الطالع المنجوس أن أطلعني بوصفها حميا المدام عند الجار النمام
ثم ناب الحنين بعد أن صرد السهم فاخشيت [illegible] لوبال وضيعة ما أودع ذلك
لغزال بيدأني عاهدته على عكس ما لفظته وأن يحفظ السر ولو احفظته
فزعم أنه يخزن الأسرار كما يخزن اللئيم الدينار وأنه لا يهتك الأستار ولو عرض
لأن يلج النار فما غبر على ذلك الزمان إلا يوم واحد أو يومان حتى بدا لأمير
تلك المدرة والناهي في المقدرة أن يقصدها بأن يقتله مجردا عن حيله ومستطرا
عار بين يله وأرادا أن يحجبه خفة بلا مراماة لينفذ منها بين يدي نجواه وجعل يبذل

الجعـــابل لوراده ويثني الراغب لمن يطيعه بيداده [illegible]

الحنا الى فؤاده وعصى في ادراء العار عزل عذوله فاني الواني ناشر اذنيه وابنيه

ما كنت اسررته اليه فما راعني الا انسياب صاغيته الي واثبات حقده علي

يسومني ابتياعه بالدرة اليتيمة على ان احكم عليه في القيمة فغشيني من الهم ما غشي

من غوى وجنوده من اليم ولم ازل ادافع عنها ولا يعنيني الوفاء واستشفع اليه

ولا يجدي الاستشفاع وكلما رأى مني ازدياد الاعتياص وازدياد المناص تجبر

ونفر ومرح وفرح على الادرهم ونفسي مع ذلك لا تسمح بمفارقته بدرى وبان انتزع

قلبي من صدري حتى آل الوعيد ايقاعا والتقريع قراعا فقادني الاشفاق من الحين الى

ان فضضته سواد العين بصفرة العين ولم تخل الواشي بغيته الا تمزق السين فحمدت

الله تعالى منذ ذلك العهد ان لا احاضر نماما من بعد وان الزجاج مخصوص بهذه

الطباع الذميمة وبه يضرب المثل في النميمة فقد جرى عليه سبيل مثلي ولذا كم

التسبب لم ينتد اليه مثلي

فلا تعذلوني بعدما قد شرحته على ان جرمي في اقتطاف اللطايف

فقد بان عذري في صنيعي وانني بانوفتي من تالدي وطارفي

على ان ما رودتكم من فكاهة لدى من الخلو الذي لعارف

قال الحارث بن همام فقبلنا اعتذاره وقبلنا عذاره وقلنا له قدما وقدت النميمة

خبر البشر حتى استتر عن حمالة الحطب ما استتر ثم سألناه عما أحدث جارة القناة

ودخلة المقنات بعد أن راش له نبل السعاية وجذ حبل الرعاية فقال لا أخذني

الاستخذاء والاستكانة والاستشفاع إلى ذوي المكانة وكنت حرجت على نفسي

أن يستنزعه أنسي أو يرجع إلى أمني فلم يكن لي همّ سوى الرد والإصرار على الصد

وهو لا ييأس من النجح ولا ينثني من وقاحة الوجه بل يلظّ بالوسائل ويلج في المسائل

فما أنقذني من إبرامه ولا أبعدني نيل مرامه إلا أبيات نفثها الصدر الموتور والخاطر

المبتور فإنها كانت مدحرة لشيطانه ومسجنة له في أوطانه وعند إنشادها بتّ طلاق

الحبور ودعا بالويل والثبور ويئس من نشره وصلى المقبور كما يئس الكفار من

أصحاب القبور فاستنشدناه أن ينشدنا إياها ويستقنا ريّاها فقال أجل خلق الإنسان

من عجل ثم أنشد لا بروية تخجل ولا بثنية وجل

ونديمٍ محضته صدق ودّي إذ توهّمته صديقاً حميما

ثم أوليته قطيعة قالٍ حين ألفيته صديداً حميما

خلته قبل أن يجرّب لفاذا ذمامٍ فبان خلفاً ذميما

وتخيّرته كريماً فأمسى منه قلبي بما جناه كليما

ونظنته معيناً رحيماً فتبينته لعيناً رجيما

وترائيته مريداً الحجى عنه سيشكى له مريداً لئيما

وتوسمت أن يهب نسيماً فأبى أن يهب إلا سموما

بت من لسعة الذي أعجز الراقي سليماً وبات مني سليما

وغدا أمره غداة افترقنا مستقيماً والجسم مني سقيما

لم يكن رابعاً خصيباً ولكن كان للشر رابعاً لا لهما

قلت لما بلوته ليته كان عقيماً ولم يكن لي نديما

بت منه حين نم الى قلبه الى الصباح يلقى هموما

ودعاني الى هوى الليل اذ كان سواد الدجى رفيقاً كتوما

وكفى من يشي ولو فاه بالصدق أثاماً فيما أتاه ولوما

قال فلما سمع رب المنزل قريضه وتبجحه واستملح تقريضه وتسبيعه
بوأه مهاد كرامته وصدره على تكرمته ثم استحضر عشر صحاف من الغرب
فيها حلواء الفانيذ والضرب وقال لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة ولا
ينبغي أن نجعل البريء كذي الظنة وهذه الآنية تتنزل منزلة الأبرار دون
الأشرار فلا تولها الأبعاد ولا تحوها ذا إبعاد ثم أمر خادمه بنقلها ب

تنوا بحكم فيها بهوة فاقبل علينا ابو زيد وقال اقرأوا سورة الفتح
وابشروا بانتهاء الترح فقد جبر الله ثكلكم وسنّى اكلكم وجمع في ظل الحلوآء
شملكم وعسى ان تكرهوا شيئا وهو خير لكم ولما همّ بالانصراف مال الى
ستهدآء الصحاف فقال للآدب الذي لا يبل الظرف سماجة المهدي بالصوف فقال
كليهما والغلام فاحذف الكلام وانهض بسلام فوثب في الجواب وشكر بذر ودن

للسحاب ثم اقتادنا ابو زيد الى حوآيه وحكمنا في حلوآيه وجعل يقلب
الاوني بيده ويفض عذرها على عدده ثم قال لست ادري اشكوا ذلك التمام

أم أشكر أم أناسي فعلته أم أذكر فإنه وإن كان أسلف الجريمة ومنع من غنيمة انهلت
هذه البيمة وبتنبيه الحارث لي هذه الغنيمة وقد خطر بالي أن أرجع إلى أسناد
وأقنع بما سنى لي ولا أتعب نفسي وذا أجمالي وأنا أودعكم وداع محافظ وأستودعكم
خير حافظ ثم استوى على راحلته راجعاً في حافرته ولاوياً إلى زافرته فغادرنا

بعد أن خدعنا عنه وزايلنا أنشده كدت غاب ... فلا يدري

المقامة التاسعة عشر

روى الحرث بن همام قال امحل العراق ذات العويم لاختلاف انواء الغيم وتحدث
الركبان بريف نصيبين وطيبة اهلها المخصبين فاقتعدت مهريا واعتقلت
سمهريا وسرت تلفظني ارض الى ارض ويجذبني رفع من خفض حتى بلغتها نقضا على
نقض فلما الحت بمغناها الخصيب وعرت في رعاها بنصيب نويت ان القي بها جراني واتخذ
اهلها جيراني الى ان يحيى السنة الجماد ويتمهد ارض قومي المهاد فوالله ما نضضت مقلتي
بنومها ولا نضت ليلتي عن يومها او نعقت بها ابا زيد السروجي يجول في ارجاء نصيبين
ويخبط بها خبط المصابين والمصاب وهو ينثر من فيه الدرر ويحلب بكفه الدرر فوجدت
جهادي قد جاز مغنما وقد جنى لي العنقود ... ما فلم ازل اتبع ظله اينما انبعث وفي المنقطع
نقطه كلما نفث الى ان عراه مرض امتد مداه وعرفته مداه حتى كاد يدليه ثوب المحيا
ويبلغه الى ان يحيى فوجدت لفوت ملقاه وانقطاع سقياه ما يجده المتبعد عن مرامه
والممنوع عند فطامه ثم ارجف بان رهنه قد غلق وحبل الحمام به قد علق

فقمت نحبه لارجاف المرجفين وانثالوا الى عقوته موجفين

حاثث بينهم نحوه لنرتضع اخلافيا

انالوا الغروب وعطّوا الجيوب ولطموا الخدود وتجود لربها
يوذّون لو نالهم المنون وعاشت نفائسهم والنفوس

قال الراوي وكنت فيمن لفّ بأصحابه واغتدى إلى بابه فلما انتهينا إلى فنائه
وتصدّينا لاستئذان أبنائه برز إلينا فتاه مقترّة شفتاه فاستطلعنا طلع الشيخ
في شكاته وكنه قوى حركاته فقال لقد كان في قبضة المرض وعركة الوعك إلى أن
شفّه الدنف واستشفّه التلف ثم منّ الله تعالى بتقوية ذمائه فأفاق
من غمائه فارجعوا أدراجكم وانضوا إزعاجكم فكأن قد غدا أو راح وشافاكم الراح
فأعظمنا بشراه واقترحنا أن نراه فدخل مؤذناً بنا ثم خرج آذناً لنا
فلقينا منه لقىً ولساناً طلقاً وجلسنا نحدّق في بشرته نحدّق إلى أساريره
فقلّب طرفه في الجماعة وقال احتملوها بنت الساعة وأنشد

عافاني الله وشكراً له من علّة كادت تعفّيني
ومن بالبرّ على أنه لا بدّ من حتف سيرديني
إن حمّ لم يغن حميم ولا حمى طبيب منه يحميني
ما بنا شأني ولكنّه في نقضي لأكل يثنيني
وما أبالي إذا يومه لم أخّر الحين إلى حين

دنی في حياة لذي فيها البلا بأنه ثم تبليني

قال فدعونا له بامتداد الأجل وارتداد الوجل ثم تداعينا إلى القيام

لنقاء الإبرام فقال كلا بل البثوا بياض يومكم عندي لتشفوا بالمفاكهة وجدي

فإن أجابكم من يغني ومغناطيس لبّى فتحرّينا مرضاته وتحامينا معاصاته وأقبلنا على

الحديث نمخض زبده ونلغي زبده إلى أن حان وقت المقيل وكلّنا لا يبين من القائل

ودلّ على ما كلّنه وشكله وقال لي أخ بالعمرة قد أضرّ به في خبابه الجمرة

فاستنجح أبا جامع فإنه بشرى كل جائع وأردفه بأبي نعيم نصابر على كل ضيم

ثم عزّز بأبي حبيب المحبب إلى كل لبيب المطلب عن إحراق وتعذيب وأهب بأبي نقيف

فحبذا هو من اللّف وهلمّ بأبي عون فإمنانه من عون ولو استحضرت أبا جميل الجمل إلى جميل

وحيّ هلًا بأم القرى المذكّرة بكسرى ولا تنسا أم جابر فكم لها من ذاكر وما أن يسامر

الفرج ثم أقلل بها ولا حرج واختم بأبي زرين فهو مسداة كالجرين وإن نفرت بها

العلاء فحج استمك من الحلواء وإياك واستدناء المرجفين قبل استقلال حمول البين وإذا

نزع القوم عن المراس وصافحوا أبا إياس فاطف عليهم [illegible]بير فإنه عنوان السرور فقال

ففقه ابنه لطائف رموزه بلطافة تمييزه وطاف علينا بالطيبات في الطيب

إلى أن ذرّت الشمس بالمغيب فلما اجتمعنا على التوديع قلنا له ألم تر إلى هذا اليوم

البديع كيف بدا صحوه قمطريرا ومسيّه مستنيرا فنجد حتى أطال ثم رفع رأسه وقال

لا تيأسنّ عند النوب من فرجة تجلو الكرب

فلكم سموم هبّ ثم جرى نسيما وانقلب

وسحاب مكروه تنشّا فاضمحل وما سكب

ودخان خطب خيف منه فما استبان له لهب

ولطالما طلع الأسى وعلى بقيته غرب

فاصبر إذا ما ناب روع فالزمان أبو العجب

وترج من روح الإله لطائفا لا تحتسب

قال فاستملينا آيات الغرر واستملنا لله تعالى الشكر وودعناه

مسرورين بسره مغمورين بسره

تفسير ما أشكل من المقامة

من ألفاظ لغوية وكنى طفيلية وكنايات صوفية

قوله ذات العويم يعني به الزمان المتقادم ومثله ذات الزمين والشهرية الرماح وفي تسميتها بذلك قولان أحدهما أنه لصلابتها وهو من قولهم اسمهر الشيء إذا اشتد وقيل إنها منسوبة إلى سمهر زوج ردينة وكانا جميعا يقومان الرماح فنسبت إليهما ۞ **قوله** نقضا على نقض أي مهزولا على مهزول ۞ والجران باطن العنق وقيل منه تعمل السياط ۞ **وقوله** ضرب الله على الآذان أنامنا ومنه قوله عز وجل فضربنا على آذانهم في الكهف أي أنمناهم وقيل في تفسيره منعناهم السمع **وقوله** تلاعنا الصلاة العجماوين أي غسلنا الأذرعنا وصلينا الظهر والعصر سميتا بذلك لإسرار القراءة فيهما ومنه الحديث صلاة النهار

عجما وقوله هلم اي تعال هلم وهي بالي معنى هات وبمعنى اقبل والافصح ان يوحد
لفظها مع المذكر والانثى والاثنين والجمع وبه نطق القرآن في قوله تعالى والقائلين
لاخوانهم هلم الينا ومن العرب من يقول للمذكر الواحد هلم وللاثنين هلما وللجميع
هلموا وللمونث الواحدة هلمي وللاثنين هلما وللجميع هلممن وقوله حي هل اي عجل
يبنا حي هل بفلان بتسكين اللام وفتحها وتنوينها واثبات النون معها ومنه قول
ابن مسعود رحمه الله في عمر رضي الله عنه اذا ذكر الصالحون فحي هلا بعمر وفي حي هل
لغات اخر ضربنا عن ذكرها اذ ليس هذا موضع استيفاء شرحها فهذا تفسير الالفاظ
اللغوية   تفسير الالفاظ الطفيلية والكنايات الصوفية فابو يحيى كنية الموت
وابو عمرة كنية الجوع وكني ايضا ابا مالك وابو جامع الخوان وابو نعيم الخبز الحواري
وابو جميل الجدي وابو ثقيف الخل وابو عون الملح وابو جميل البقل وام القرى السكباج
وام جابر الهريسة وام الفرج الجوذابة وابو زرين الخبيص وابو العلاء الفالوذ وابو
ابان الغسول والمرجفان الطست والابريق وابو النشر البخور

المقامة العشرون

حكى الحرث بن همام قال سمرت بميافارقين مع رفقة موافقين لا يمارون في المناجاة ولا

يذودون ما طعم المداجاة فكنت بهم من لم يرم عن وجاره ولا طغى عن الفه وجاره فلما
أنخنا بها مطايا التسيار واستفللنا عن الاكوار الى الاوكار تواصينا بتذكار
الصحبة وتناسينا عن التقاطع في الغربة واتخذنا ناديا نعمره طرفي
النهار ونتهادى فيه طرف الاخبار فبينا نحن في بعض الايام وقد انتظمنا
في سلك الالتئام وقف علينا ذو مقول جري وجرس جهوري فحيا تحية نفاث
في العقد قانص للاسد والنقد ثم قال

عندي يا قوم حديث عجيب ... فيه اعتبار للبيب الاريب

رأيت في ريعان عمري اخا ... بأس له جد الحسام القضيب

يقدم في المعرك اقدام من ... يوقن بالفتك ولا يستريب

يلج الضيق بكر انه ... حتى يرى ما كان ضنكا رحيب

ما بارز الاقران الا انثنى ... من موقف الطعن برمح خضيب

ولا سما يفتح مستصعبا ... مستغلق الباب منيعا مهيب

الا ونودي حين يسمو له ... نصر من الله وفتح قريب

هذا وكم من ليلة باتها ... يميس في برد الشباب القشيب

يرشف العذب ورشفه ... ومولدي لكل المفدى الحبيب

فلم يزل يبتزه دهره ما فيه من بطش وعود صليب

حتى اسارته الليالي لقا يعافه من كان منه قريب

قد اعجز الراقي تحليل ما به من الداء واعيا الطبيب

ونام من البيض وصار منه من بعد ما كان المجاب الحبيب

ونت كالمكوك في خلقه ومن يعش يلق دواعي المشيب

وها هو اليوم مسجى في برعب في كفن ميت غريب

ثم أعلن بالعويل وبكى بكا المحب على الحبيب حتى إذا رقأت دمعته وسكنت
لوعته قال يا نجعة الرواد وقدوة الأجواد والله ما نطقت ببهتان ولا
أخبرتكم إلا عن عيان ولو كان في عصاي سير وفي عيني مطير لأشرت بما دعوتكم

إليه ولما وقفت موقف الدال عليه ولكن كيف يطير من لا جناح وهل على من لا
يجد من جناح قال الراوي فطفق القوم يأتمرون فيما يأمرون ويتخافتون بما يدبرون فتوهم
أنهم على تحريفه يتحزبون أو مطالبته ببرهان ففرط منه أن قال ما بال لامع القاع وبرامع البقاع

ويستنون استنان الجياد ويتواصفون وعظ واعظ يفضلونه على ابن سمعون

دونه فلم يكن لي ادني لاستماع المواعظ واختبار الواعظ فأتيت اللاعظ واحتمل

الفاغظ فانسحبت انسحاب الطواعة واقحمت في الجماعة حتى افضيت الى ناد جمع

الامير والمأمور والنبيه والمغمور في وسطها الندي ووسط اهلته شيخ قد تقوس

وفسر وتعلس وتطاول وهو يتصدع بوعظ يشفي الصدور ويلين الصخور فسمعته يقول

وقد فتنت به العقول   ابن ادم ما اغراك بما يغرك واضراك بما يضرك والهجك بما يطغيك

وابهجك بمن يطريك تعنى بما يعنيك وتهمل ما يعنيك وتنزع عن قوس تعديك ترتدي

الحرام الذي يرديك لا بالكفاف تقنع ولا من الحرام تمتنع ولا للعظات

تستمع ولا بالوعيد ترتدع دابك ان تتقلب مع الاهواء وتخبط خبط العشواء

ومقتك ان تدأب في الاختيار وتجمع التراث للوراث يعجبك التكاثر بما لديك ولا

تذكر ما بين يديك وتسعى ابدا لغاربك ولا تبالي الك ام عليك اتظن ان ستترك سدى

ان لا تحاسب غدا ام تحسب ان الموت يقبل الرشا او يميز بين الاسد والرشا كلا والله

ما ل ولا بنون ولا ينفع اهل القبور سوى العمل المبرور فطوبى

ادعى ونهى النفس عن الهوى وعلم ان الفائز من ارعوى وان

سعيه سوف يرى ثم انشد انشاد جابر بسد

رجل

لعمرك ما تغني المغاني ولا الغنى اذا سكن المثري الثرى وثوى به

فجد في مراضي الله بالمال راضيا بما تقتني من اجره وثوابه

وبادر به صرف الزمان فانه بمخلبه لا ننثني بنيوبه ونابه

ولا تأمن الدهر الخؤون ومكره فكم خامل اخنى عليه ونابه

وعاص هوى النفس الذي ما اطاعه اخو ضلة الا هوى من عقابه

وحافظ على تقوى الاله وخوفه لتنجو مما يتقى من عقابه

ولا تله عن تذكار ذنبك وابكه بدمع يضاهي المزن حال مصابه

ومثل لعينيك الحمام ووقعه وروعة ملقاه ومطعم صابه

وان قصاري منزل الحي حفرة سينزلها مستنزلا عن قبابه

فواها لعبد ساءه سوء فعله وابدى التلافي قبل اغلاق بابه

قال فطأطأ القوم بين عبرة يبدقونها وتوبة يضمرونها حتى
كادت الشمس تزول والفريضة تعول فلما خشعت الاصوات وانام الانصات
واستكت العبرات والعبارات استنصح مستنصح بالامير الكافر وجعل
من عامله الجائر والامير صاغ الى الخصم لاده عن كشف ظلمه فلما تبين من وجه المستنصر
الواعظ لتحديه نهض نهضة المستبشر وانشد معرضا بالامير ه

حتى يعض على الولاية كفه ويود لو لم يبلغ منها ما بلغ

ثم قال أيها المتوج بالولاية المسترعي للرعاية دع الإدلال بدولتك والاغترار بصولتك فإن الدولة ريح قُلّب والقدرة برق خُلّب وإن أسعد الرعاة من سعدت به رعيته وأشقاهم في الدارين من ساءت رعايته فلا تكن ممن يذر الآخرة ويلغيها ويحب العاجلة ويبتغيها ويظلم الرعية ويؤذيها وإذا تولى سعى في الأرض ليفسد فيها فوالله ما يغفل الديان ولا يهمل الإنسان بل سيوضع لك الميزان وكما تدين تدان قال فوجم الوالي لما سمع وامتقع لونه واستفع وجعل يتأفف من الإمرة ويردف الزفرة بالزفرة ثم عمد إلى الشاكي فأشكاه وإلى المشكو فأشجاه والطف الواعظ وحباه وعزم عليه أن يغشاه فانقلب عنه المظلوم منصورا والظالم محصورا وبرز الواعظ يهادي بين رفقته ويباهي بفوز صفقته وأعقبته أخطو متقاصرا وأرتبه لحظا باصرا فلما استشف ما أخفيه وفطن لتقلب وجهي فيه قال خير دليليك من أرشد ثم اقترب مني وأنشد

أنا الذي تعرفه يا حارث	حدث ملوك فكه منافث
أطرب ما لا تطرب المثالث	طورا أخو جد وطورا عابث
ما غيرتني بعدك الحوادث	ولا التحى عودي خطب ...

ولا قرنائي حشد فارث		بل مخلص في كل صيد ضابث
وكل شرح فيه ذيبي عائث		حتى كأني للانام وارث
سامهم وحامهم ويافث

قال الحارث بن همام فقلت له تالله انك لابو زيد ولقد صدقت فيهم ولا عمرو بن عبيد نش هشاشة الكريم اذا ام وقال اسمع يا ابن ام

عليك بالصدق ولو انه احرقك الصدق بنار الوعيد
وابغ رضا الله فاغبى الورى من سخط المولى وارضى العبيد

ثم انه ودع احدانه وانطلق جبل زادانه فطلبناه من بعد بالري واستنشرنا اخباره من مدارج الحي فما انبأنا من عرف قراره ولا درى اي الجراد عاره

المقامة الثانية والعشرون

حكى الحارث بن همام قال آويت في بعض الفترات الى سقي الفرات فلقيت بها ذا يا ابي من بني الفرات واعذب اخلاقا من الماء الفرات فاعتلقت بهم لدماثة مذاهبهم وكانت ثقتي بهم لادبهم لا لمآدبهم فحلت منهم اضراب بين سمر وصلت بهم الكور بعد الكور حتى انهم اشبر كوني

المربع والمرتع وحلوني محل الأنملة من الإصبع واتخذوني ابن نفسهم
عند الولاية والعزل وخازن سرهم في الجد والهزل فاتفق انهم ندبوا
في بعض الأوقات لاستقراء مزارع الفرات قال فاختاروا من الجواري
للمسار جارية كالكاعب الشباب تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب
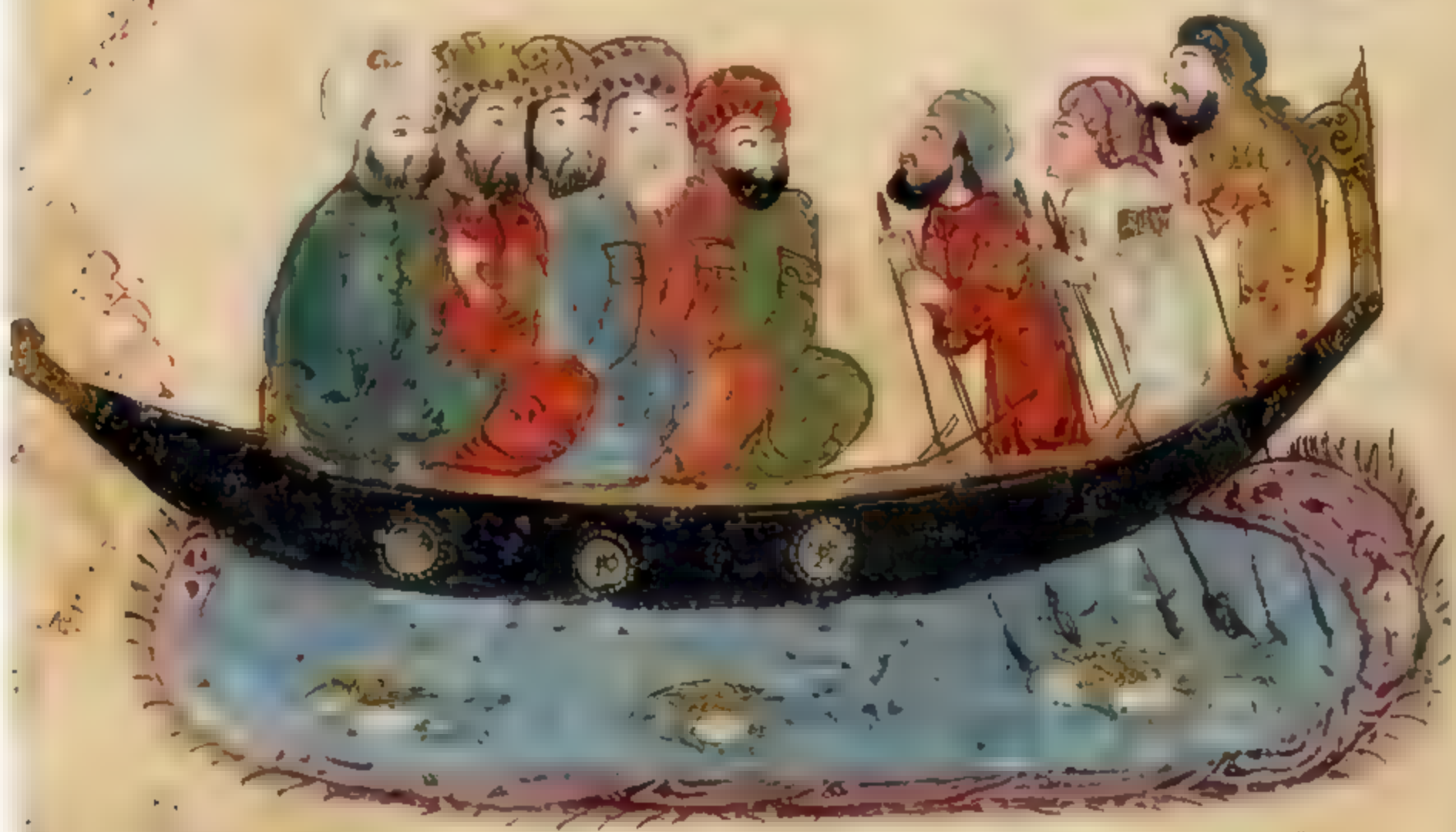
وتنساب في حباب كالحباب تدعو إلى الموافقة واستدعى بملء فيه [illegible]
أحدهما وتبصرنا الوثبة الماشية على الماء ألفنا بها شيخا عليه [illegible]
[illegible] فعافت الجماعة محضره وعنفت من احضره [illegible]

لو ذاب إليه إيماءٌ يستكنيه فلمّا ألحّ منّا استثقالُ ظلّه واستبرادُ حلّه
تعرّضنا للمنافثة فضمّنت وحمدنا بعد أن غضضنا فشمّت فأخذ ينظر فيما ألّف
جاله إليه وينتظر نصرة المنبغي عليه وحملنا الحديث في شجون من جادٍّ ومجون
إلى أن عرض ذكر الكتابتين وفضلهما وتباين أفضلهما فقال قائل إن كتبة
الإنشاء أنبل الكتّاب ومال مائل إلى تفضيل الحُسّاب واحتدّ الحجاج وامتدّ اللجاج
حتى لم يبق للجدال مطرح ولا للمراء مسرح فقال الشيخ لقد أكثرتم يا قوم اللغط وأردتم
الصواب والغلط وزح[illegible] ي فارتضوا بنقدي ولا تستفتوا أحدًا بعدي
اعلموا أن صناعة الإنشاء [illegible] الحساب أنفع وقلم المكاتبة خاطب وقلم
المحاسبة حاطب وأساطير البلاغات تُنسخ لتُدرس ودساتير الحسابات تُنسخ
وتُدرس والمنشي جهينة الأخبار وحقيبة الأسرار ونجيّ العظماء وكبير الندماء
وقلمه لسان الدولة وفارس الجولة ولقمان الحكمة وترجمان الهمّة وهو البشير
والنذير والشفيع والسفير به تُستخلص الصياصي وتُملك النواصي ويُقتاد العاصي
ويُستدنى القاصي وصاحبه بريء من التبعات آمن كيد السعاة مقرّظ
[illegible] غير معرّض لنظم الجماعات فلمّا انتهى في الفصل إلى هذا
[illegible] المحنة [illegible] وأنه ادّرع حبًّا وبغضًا وارتضى قومًا واخفض بعضًا

فعقب كلامه أن قال إلا أن صناعة الحساب موضوعة على التحقيق وصناعة
الإنشاء مبنية على التلفيق وقلم الحاسب ضابط وقلم المنشئ خابط وبين إتاوة
توظيف المعاملات وتلاوة طوامير السجلات بون لا يدركه قياس ولا يعبره
التباين إذ الإتاوة تملأ الأكياس والتلاوة تفرغ الراس وخراج الأوارج
يغني الناظر واستخراج المدارج يعني الناظر ثم إن الحسبة حفظة الأموال
وحملة الأثقال والنقلة الأثبات والسفرة الثقات وأعلام الإنصاف والانتصاف
والشهود المقانع في الاختلاف ومنهم المستوفي الذي هو يد السلطان
وقطب الديوان وقسطاس الأعمال والمهيمن على العمال وإليه المآب في
السلم والهرج وعليه المدار في الد [illegible] خرج وبه مناط الضر والنفع
وفي يده رباط الإعطاء والمنع ولولا قلم الحساب لأودت ثمرة الاكتساب
ولاتصل التغابن إلى يوم الحساب ولكان نظام المعاملات محلولا وجرح
الظلامات مطلولا وجيد التناصف مغلولا وسيف التظالم مسلولا على أن
يراع الإنشاء متقول ويراع الحساب متأول والحاسب مناقش والمنشئ أبو
براقش ولكليهما حمة حين يرقى إلى أذن يلقى ويرقى وإعنات فيما [illegible]
إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وقليل ما هم [illegible]

ثم وسمه الاحتياج بمراق وراع استشنبه فاشرأبّ ورد الانساب ونوجد

منتسبا بالانساب فجعلت من ينسبه على غمته حتى ادّكرت بعد امّة فقلت والذي يسخّر

الفلك الدوّار والفلك يسبا انى لاجد ريح ابى زيد وان كنت عهدته ذا زور وادبار

فتبسم تبسم من فقه لي وقال انا هو على استحالة حالي وحولي فقلت لاصحابي هذا

الذي لا يفرى فريّه ولا يسارى عبقريه فحضوا لمنه لودّ وبذلوا له التوجه فرغب

عن الصلة ولم يرغب في التحفة وقال اما بعد ان تحققتم حقيقة خلّتى

وتكشفتم ذلك اخلاق نفسي فما اراكم الا بالعين الخفية ولا الكم منّي الّا بحجة

السفينة ثم انشد

اسمع اخي وصية من ناصح ما شاب محض النصح منه بغشه

لا تعجلن بقضية مبتوتة في مدح من لم تبله او خدشه

وقف القضية فيه حتى تجتلي وصفيه في حالي رضاه وبطشه

ويبين خلّب برقه من صدقه للشائمين ووبله من طشّه

فهناك ان تر ما يشين فواره كرما وان تر ما يزين فافشه

ومن استحق الارتقاء فرقّه ومن استحق تحطّه فحطّه في حشّه

واعلم بان التبر في عرق الثرى خافٍ الى ان يستثار بنبشه

وفضيلة الدينار يظهر سرها ... في حكه لا في ملاحة نقشه
ومن الغباوة ان تعظم جاهلا ... لصقال ملبسه ورونق رقشه
او ان تهين مهذبا في نفسه ... لدروس بزته ورثة فرشه
ولكم اخي طمرين هيب لفضله ... ومفوف البردين عيب لفحشه
واذا الفتى لم يغش عارا لم يكن ... ثماله الامرا في عرشه
ما ان يضر العضب كون قرابه ... خلقا ولا البازي حقارة عشه

ثم ما عثنا ان استوقف الملاح وصعد من السفينة وساح وندم كل منا على ما فرط في ذاته واغضى جفنه على قذاته وتعاهدنا على ان لا نحتقر شخصا لرثاثة برده وان لا نزدري سيفا مخبوا في غمده

المقالة الثامنة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال نبا بي مألف الوطن في شرخ الزمن لخطب خشي وخوف غشي فارقت دار الكرى ونصصت ركاب السرى وجبت في سيري وعورا لم ترد منها الحصى ولا اهتدى اليها القطا حتى وردت حمى الخلافة وحرم العاصم من المخافة فسرون ابان الروع واستشعاره وشمت شعار الامن ودثاره

وقصرت همي على لذة اجتنيها وملحة اجتليها فبرزت يوما الى حريم لا ارود ضالة واجيل
في طرفه طرفي فاذا فرسان متتالون ورجالة متتابعون وشيخ طويل اللسان قصير
الطيلسان قد لبب فتى جديد الشباب خلق الجلباب وكلاهما لنظارة حتى وافيا باب

الامارة وهنالك صاحب المعونة متربعا في دسته ومرفوعا بسمته فقال له الشيخ
اعز الله الوالي وجعل العبد الجاني انى كفلت هذا الغلام فطيما وربيته يتيما ثم لم آله تعليما
فلما مهر وبهر جرد نصل عدوانه ولم اخله يلوي علي ويسجح حين ترقى

ني وللشيخ فقال له الفتى علامَ عثرتَ مني حتى تُشيد بخزيي عنّي
فوالله ما شانته وجنة نزقٍ ولا هتكتُ حجاب برٍّ ولا شققتُ عصا المرك
ولا لعبتُ بلاوة شكرٍ فقال له الشيخ ويلك وأي ريبٍ أخزى من ريبك وهل

عيبٌ أفحش من عيبك وقد ادّعيتَ نحوي وانتحلتَ شعري ونثرهُ وشبهِ وتبع
عند الشعراء أفظع من سرقة البيضاء والصفراء وغيرتهم على بنات أفكارهم كغيرتهم
على بنات الأبكار فقال الوالي للشيخ وما [illegible]

والذي جعل الشعر ديوان العرب وترجمان الأدب ما أحدث سوى أن بشّر
تمثل ترجمه وأغار على شتى ترجمه فقال له أبياتك رقمتها ليضح ما اختاره
من جملتها فأنشد

يا خاطب الدنيا الدنية إنها شرك الردى وقرارة الأكدار
دار متى ما أضحكت في يومها أبكت غدا بعدا لها من دار
وإذا أظل سحابها لم ينتقع منه صدى لجهامه الغرار
غاراتها ما تنقضي وأسيرها لا يفتدى بجلائل الأخطار
كم مزدهٍ بغرورها حتى بدا متمردا متجاوز المقدار
قلبت له ظهر المجن وأولغت فيه المدى ونزت لأخذ الثار
فاربأ بعمرك أن يمر مضيعا فيها سدى من غير ما استظهار
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى ورفاهة الأسرار
وارقب إذا ما سالمت من كيدها حرب العدى ووثوب الغدار
واعلم بأن خطوبها تفجا وإن طال المدى ووَنَت سرى الأقدار

فقال له لوذعي ثم ماذا تصنع هذا قال أقدم للقومه في زجره على إسقاط
لست... الأجزاء فحذف منها جزئين ونقص من أوزانها وزنين حتى صار

المزن فيها رزين فقال له بين ما اخذ ومن اين فقال دعني تمعك واخل للفهم
عن ذرعك حتى تتبين كيف اصلت علي وتقشر فقد راجته امه اي ثم
انشد وانفاسه تتصعد

يا خاطب الدنيا الدنية انها شرك الردى
دار متى ما اضحكت في يومها ابكت غدا
واذا اظل سحابها لم ينتقع منه صدا
غاراتها ما تنقضي واسيرها لا يفتدى
كم مزدهى بغرورها حتى بدا متمردا
قلبت له ظهر المجن واولغت فيه المدى
فاربا بعمرك ان يمر مضيعا فيها سدى
واقطع علائق حبها وطلابها تلق الهدى
وارقب اذا ما سالمت من كيدها حرب العدى
واعلم بان خطوبها تفجا وان طال المدى

فالتفت الوالي الى الغلام وقال تبا لك من خبيث مارق وقلما ساد
فقال تعني بزين من الادب وبنيه ولحقت من بناويه ويقوض ما بنته

ابنا ندمت إلى عمي فقل إذ لقيت نصحي ولما أنفق نوادر الخواطر وفعل الجائر
على الجائر قال فكان لو أن جوز صدق زعمه فنده على بادرة ذمه وظل يفكر
فيما يكشف له عن حجابه ويستبرئه من نفاق من أمامه فلم ير إلا أخذهما
بالمناضلة ورهنهما في قرن المساجلة فقال هما إن أردتما افتضاح العاطل
وانتصاح الحق من الباطل فتراسلا في النظم وتباريا وتجاولا في حلبة الإجازة
وتجاريا ليبين من هلك عن بينة ويحيا من حيي عن بينة فقالا له
بلسان واحد وجواب متوارد قد رضينا أن تستبرك فينا بأمرك فقال إني
مولع من أنواع البلاغة بالتجنيس وأراه لها كالرئيس فانظما الآن عشرة أبيات تلحمانها
بوشيه وترصعانها بحليه وضمناها نزح حاجب مع أغيد بديع الصفة ألمى
الشفة مليح التثني كثير التجني ونجني مغري بتنائي العهد وإطالة الصد
وإخلاف الوعد وأنا له كالعبد قال فبرز سننه مجليا ثم تلاه الفتى مصليا
وتجاريا بيتا فبيتا على هذه النسق إلى أن كمل نظم الأبيات وأنشد

وأحوى حوى رقي برقة ثغره وغادرني إلف السهاد بغدره
تصدى لقتلي بالصدود وإنني لفي أسره مذ حاز قلبي بأسره
الزور خوف ازوراره وأرضى استماع الهجر خشية هجره

واستعذب التعذيب منه وكلما أجدّ عذابي جدّ لي حبّ برّه

تنائي دمائي والتنائي مذمة واحفظ قلبي وهو جانٍ ضرّه

ولعجب ما فيه التباهي بعجبه واكثره ان أنوه بحسنه

له مني المدح الذي طاب نشره ولي منه لي الذم من بعد نشره

فلو كان عدلا ما تجنّى وقد جنى عليّ وغيري يجتني رشف ثغره

ولولا تثنيه تنسّى بدا الي من اجتلي نور بدره

واني على تصريف امري وامره داري المرحلوا في انشاد لامره

فلما انشداها أنحى الوالي منثالين بهمن لذكاتهما المتعادلين وقال اشهد انكما فرقدا سماء وكركرين في وعاء وان هذا الحدث ليتفوق ما آتاه الله ويستغني بوجده عن نواله فثبا بها الشيخ من ايهامه وثب الى اكرامه فقال الشيخ هيهات ان تراجعه معقتي او تعلق به ثقتي وقد بلوت كفرانه للصنيع ومنيت منه بالعقوق الشنيع فاعترضه الفتى وقال يا هذا ان اللجاج شؤم والحنق لؤم وحيق الظنة اثم واعنات البريء ظلم وهبني اقترفت جريرة واجترحت كبيرة اما تذكر اذ انشدتني لنفسك في ابان انسك

سامح اخاك اذا خلط منه الاصابة بالغلط

وجانف عن تعنيفه ان زاغ يوما او قسط

واحفظ صنيعك عنده شكر الصنيعة ام غمط

واطعه ان عاصى وهن ان عز وادن اذا شحط

واقن الوفا ولو اخل بما اشترطت وما شرط

واعلم بانك ان طلبت مهذبا رمت الشطط

من ذا الذي ما ساء قط ومن له الحسنى فقط

اوما ترى المحبوب والمكروه لزا في نمط

كالشوك يبدو في الغصون مع الجنى الملتقط

ولذاذة العمر الطويل يشوبها نغص الشمط

ولو انتقدت بني الزمان وجدت اكثرهم سقط

قال فجعل الشيخ ينضنض لحسن طلته الصل ويحملق حملقة البازي المطل ثم
قال والذي زين السما بالشهب وانزل الما من السحب ما زوغي عن الاصطلاح
الا لتعذر الافتضاح فان هذا الفتى اغتدى ذا امونه واراعي شوونه وقد كان الدهر
[illegible] فاما الآن فالوقت عبوس وجنو العيش بوس حتى ان بني هذه
[illegible] بجفارة قال فرق لمقالهما قلب الوالي واوى لهما من غير

البيان وصبا الى اختصاصهما بالاسعاف وامر انتظاره بالانصراف قال
الراوي وكنت متشوّقا الى مرأى الشيخ لعلّي اعلم علمه اذا عاينت وسمه ولم
يكن الزحام يُفرج عنه ولا ينفرج لي فادنو منه فلمّا انفضّت الصفوف وانحفل
الوقوف توسّمته فاذا هو ابو زيد والفتى فتاه فعرفت جنيّة مغزاه فيما
اتاه وكدت انقضّ عليه لأستعرف اليه فزجرني بايماض طرفه واستوقفني بايماء
كفّه فلزمت موقفي واخّرت منصرفي فقال الوالي ما مرامك ولأيّما سبب مقامك
فابتدره الشيخ وقال انه انيسي وصاحب ملبوسي فسمح عندها بالقو
بتأنيسي ورخّص في جلوتي ثم اقبل عليهما بخلعتين ووصلهما بنصاب من العين
واستعهدهما ان يتعاشرا بالمعروف الى اظلال اليوم المخوف فنهضا من ناديه
مثنيين بشكر اياديه وتبعتهما لأعرف مثواهما وأتزوّد من نجواهما فلمّا
اجزنا مجمع الوالي وافضينا الى الفضاء الخالي ادركني احد جلاوزته
مهيبا الى حوزته فقلت لأبي زيد ما اظنّه استحضرني الا ليستخبرني فماذا
اقول وفي اي وادٍ معه اجول فقال بيّن له غباوة قلبه وتلعّبي بلبّه
ليعلم ان ريحه لاقت اعصارا وجدوله صادف تيّارا فقلت
يتّقد غضبه فيلفحك لهبه او يستشري طيشه فـ

فقال إني ادخل الآن إلى الرها وأنى يلتقي سهيل والسها فلما حضر الوالي
وقد خلا بمجلسه وانجلى بنعيمه اخذ يصف ابا زيد ويذم الدهر له ثم قال أنشدك
الله ألست الذي أعاره الدست فقلت والذي أحلك في هذا الدست ما أنا صاحب

الدست بل أنت الذي تم عليه الدست فازورت مقلتاه واحمرت
وجنتاه ثم قال والله ما أعجزني قط فضح مريب ولا كشف معيب ولكن ما
سمعت بأن شيخا دلس بعد ما تطلس فهذا آن له أن يتدرب أفتدري أين سكع ذلك

البكم فقلت أشفق منك لبعد صوره وقطع عن بعد ذلك فوزه فقال لأقرب
له ولا كلاه إن ثوى فما آويت له من نكره وذقت ما من مكره
ولولا حرمة أدبه لأوغلت في طلبه إلى أن يقع فأوقع به وإني لأكره أن تشيع
فعلته بمدينة السلام فأفتضح بين الأنام وتحبط مكانتي عند الإمام وأصير
أحدوثة الخاص والعام فتعاهدني على أن لا تنوه بما اعتمد ما دمت حالاً بهذا
البلد قال الحارث بن همام فعاهدته معاهدة من لا يتأول ووفيت
له كما وفى السموأل

المقامة الرابعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال عاشرت بقطيعة الربيع في إبان الشبيبة فتية وجوههم
أبهى من أنواره وأخلاقهم أبهج من أزهاره وألفاظهم أرق من نسيم أسحاره
فاجتليت منهم ما يزري على الربيع الزاهر ويغني عن رنات المزاهر
وتقاسمنا على حفظ الوداد وحظر الاستبداد وأن لا يتفرد أحدنا بالتذاذ
ولا يستأثر ولو بنظرة رذاذ فأجمعنا في يوم سما دجنه وتحلى
على أن نلهى بالخروج إلى بعض المروج لنسرح النواظر في

ونقصد الى الخوط بستان الموائط فبرزنا ونحن كالشهور عدة وكندماني جذيمة

مودة الى حديقة قد اخذت بزخرفها وازينت وتنوعت ازاهيرها وتلونت

ومعنا الكميت المسمى بالشموس واستاذ التشمير والنادي الذي يطرب السامع

ويلهي ويغري كل سمع بتشبيهه فلما اطمان بنا الجلوس ودارت علينا الكؤوس

وغل علينا ذو طمر فتجهمنا تجهم الغيد للمشيب ووجدنا صفونا

قد شيب الا انه سلم تسليم اولي الفهم وجلس يفتن لطائف النثر والنظم ونحن

نزوي من التساؤل ونبرى لطي بساطه الى ان غنى شادينا المغرب ومغردنا

المطرب الام سعاد لا تصلين حبلي ولا تاوين لي مما الاقي

صبرت عليك حتى عيل صبري وكادت تبلغ الروح التراقي

وها انا قد عزمت على انتصاف اساء فيه خلي ما اساء في

فان وصلا الذ به فوصل وان صرما فصرم كالطلاق

قال فاستفهمنا الجاني بالمثاني لم نصب الوصل الاول ورفع الثاني فاقسم

بتربة ابويه لقد نطق بما اختاره سيبويه فتشعب حينئذ اهل الجمع في

تجويز ... فقالت فرقة رفعهما هو الصواب وقالت طائفة لا

يجوز فيهما الا الانتصاب واشتجر بينهم الجواب وشب بينهما

الاضطراب وذلك لو أعمل مبتدي ابتساه ذي معرفه وإن لي بقيه بنت شفه
حتى إذا سكنت الزماجر وصمتت المجر والزاجر قال يا قوم إني أنبئكم بتأويله
وأميز صحيح القول من عليله إنه يجوز رفع الوصلين ونصبهما والمغايرة في
الإعراب بينهما وذلك بحسب اختلاف الإضمار والتقدير المحذوف
في هذا المضمار قال فقرأ من الجماعة أفراط في مماراته والانخراط إلى مباراته
فقال أما إذ دعوتم نزال وتلببتم للنضال فما كلمة هي إن شئتم حرف محبوب
أو اسم لما فيه حرف حلوب وأي اسم يتردد بين فرد حازم وجمع ملازم وأية
هاء إذا التحقت أماطت الثقل وأطلقت المعتقل وأين تدخل السين فتعزل
العامل من غير أن تجامل وما منصوب أبداً على الظرف لا يخفضه
سوى حرف وأي مضاف أخل من عرى الإضافة بعروة واختلف حكمه
بين مساء وغدوة وما العامل الذي يتصل آخره بأوله ويعمل معكوسه
مثل عمله وأي عامل نائبه أرحب منه وكراً وأعظم مكراً وأكثر لله
تعالى ذكراً وفي أي موطن تلبس الذكران براقع النسوان وتبرز ربات
الحجال بعمائم الرجال وأين يجب حفظ المراتب على المضروب والضارب
وما اسم لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو الاقتصار منه على حرفين

لذا لا فكار وجالت فلما اغربنا البدر في بحره واستسلمت نابينا البحره وعدلنا من
استثقال الرؤيه الى استنزال الروايه عنه ومن بغي التبرم الى ابتغا التعلم منه
فقال والذي نزل النحو في الكلام منزلة الملح في الطعام وحجب مطالعه
عن بصاير الطغام لا اتحفتكم مراما ولا شفيت لكم غراما او تخولني كل يد وتختصني
كل يد فلم نر في الجماعة الا من اذعن لحكمه ونبذ اليه خاتما بكمه فكشف حينيذ
من اسرار العباره وبدايع العباره ما جلا صدا الاذهان وجلى طالعه سور
البرهان قال الراوي فلما بهرنا وعجبنا اذ اجابنا بينا
واخذنا نعتذر اليه اعتذار الاكابر ونعرض عليه اخذ الذي عقبات
مارب لاحتفاوه ومنزب انبه لم يبن حلاوة فاذا لنا مروده وو الا ما
معاودته ثم انفه صلفا وما يحابيه ابقا وانشد

نهاني الشيب عما فيه افراحي ... فكيف اجمع بين الراح والراح
وهل يجوز اصطباحي من معتقة ... وقد انار مشيب الراس اصباحي
آليت لا خامرتني الخمر ما علقت ... روحي جسمي والفاظي بافصاحي
ولا اكتست لي بكاسات السلافة ... ولا احلت قداحي بين اقداحي
ولا صرفت الى صرف مشعشعة ... همي ولا خلت ارجاء ارجائي

ولا نصصت على مشمولة أبداً تملي ولا اخترت ندماناً سوى الصاحي
كالمشتم حتى خط على راسي فابغض به من كاتب ماحي
ولاح يلحى على جري العنان إلى ملهى فسحقاً له من لائح لاحي
ولو لهوت وفودي شائب لخبا بين المصابيح من غسان مصباحي
قوم سجاياهم توقير ضيفهم والشيب ضيف له التوقير يا صاح

ثم إنه انساب انسياب الأيم وأجفل إجفال الغيم فعلمت أنه سراج سروج وبدر الأدب الذي يجتاب البروج وكان قصارانا التحرق لبعده والتفرق من بعده

تفسير ما أودع هذه المقامة من النكت العربية والأحاجي النحوية

أما قوله لبيت لا خير من لا غنية الذي رفا ووصلا الذي فوصل فإنه نظير قولهم المرء مجزي بعمله إن خيراً فخير وإن شراً فشر وهذه المسئلة أودعها سيبويه كتابه وجوز في إعرابها أربعة أوجه أحدها وهو أجودها أن تنصب خيراً الأول وترفع الثاني وتنصب شراً الأول وترفع الثاني وتقديره إن كان عمله خيراً فجزاؤه خير وإن كان عمله شراً فجزاؤه شر فتنصب الأول على أنه خبر كان وترفع الثاني على أنه خبر مبتدأ محذوف

وقد جاء في هذا الوجه كان واسمها بعد لا لانه حرف الشرط الذي هو ان على تقديرهما
وحذفت ايضا المسند للدلالة الفاء التي هي جواب الشرط عليه لانه كثيرا ما يقع بعدها
والوجه الثاني ان تنصبهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان عمله خيرا فهو يجزى خيرا
وان كان عمله شرا فهو يجزى شرا فتنصب الاول على انه خبر كان وتنصب الثاني
نصب المفعول به والوجه الثالث ان ترفعهما جميعا ويكون تقدير الكلام ان كان
في عمله خير فجزاؤه خير فترفع خيرا الاول على انه اسم كان وترفع خيرا الثاني
على ما بين في شرح الوجه الاول وقد يجوز ان ترفع خيرا الاول على انه فاعل كان وتجعل
كان المقدرة هاهنا هي التامة التي تاتي بمعنى حدث ووقع فلا يحتاج الى خبر كقوله
تعالى وان كان ذو عسرة فنظرة الى ويكون التقدير في المسئلة ان كان خير فجزاؤه
خير اي ان حدث خير فجزاؤه خير والوجه الرابع وهو اضعفها ان ترفع
الاول على ما تقدم شرحه في الوجه الثالث وتنصب الثاني على ما بين ذكره
في الوجه الثاني ويكون التقدير ان كان في عمله خير فهو يجزى خيرا وعلى
هذا التفسير والمقادير المحذوفات فيه يجري اعراب البيت الذي [illegible]
ومما ينتظم في هذا السلك قولهم المرء مقتول بما قتل به ان سيفا فسيف وان
وان خنجرا فخنجر واما الكلمة التي هي [illegible]

المستقبل وتعمل بنفسه وبين الجازمات قبل دخولها من ادوات النصب فترتفع
حينئذ الفعل وينفصل ان عن كونها ناصبة للفعل الى ان تصير المخففة
من الثقيلة وذلك كقوله سبحانه علم ان سيكون منكم مرضى وتقديره علم
انه سيكون واما المنصوب على الظرف الذي لا يخفضه سوى حرف فهو عند
اذ لا يجره غير من خاصة وقول العامة ذهبت الى عنده لحن واما
المضاف الذي اخل من عري اضافته بعروه واختلف حكمه بين مساء وغدوة
فهو لدن وهي من الاسماء الملازمة للاضافة وكل ما ياتي بعدها مجرور بها الا
غدوة فان العرب نصبتها بلدن لكثرة استعمالها اياها في الكلام ثم نونتها ايضا
لتبين بذلك انها منصوبة الا انها من نوع المجرورات التي لا تتصرف ❁ وعند بعض
النحويين ان لدن بمعنى عند والصحيح ان بينهما فرقا لطيفا وهو ان عند تشتمل
معناها على ما هو في ملكك ومكنتك بما دنا منك وبعد عنك ولدن تختص معناها
بما حضرك وقرب منك ❁ واما العامل الذي يتصل آخره باوله ويعمل
معكوسه مثل عمله فهو يا ومعكوسها اي وكلتاهما من حروف النداء [illegible]
الاسم المنادى سيان وان كانت يا اجول في الكلام واكثر في الاستعمال
وقد اختار بعضهم ان ينادى باي القريب فقط لانه ❁ ومن جاء [illegible]

الذي نأبه أرحب منه وكرا وأعظم منه مكرا وأكثر لله تعالى ذكرا
فهو باء القسم وهذه الباء هي أصل حروف القسم بدلالة اختصاصها مع ظهور
فعل القسم في قولك أقسم بالله ولدخولها أيضا على المضمر كقولك بك لأفعلن
ثم أبدلت الواو منها في القسم لأنهما جميعا من حروف الشفة ثم لتناسب
معنيهما لأن الواو تفيد الجمع والباء تفيد الإلصاق والمعنيان متقاربان ثم
صارت الواو المبدلة من الباء أدور في الكلام وأعلق بالأقسام ولهذا ألغز
بأنها أكثر لله تعالى ذكرا ثم إن الواو أكثر موطنا من الباء لأن الباء
لا تدخل إلا على الاسم ولا تعمل غير الجر والواو تدخل على الاسم والفعل والحرف
وتجر تارة بالقسم وتارة بإضمار رب وتنصب أيضا مع نواصب الفعل وأوان
العطف فلهذا وصفها برحب الوكر وعظم المكر وأما الموطن الذي فيه تلبس
الذكران براقع النسوان وتبرز فيه ربات الحجال بعمائم الرجال فهو أول مراتب
العدد المضاف وذلك ما بين الثلاثة إلى العشرة فإنه يكون مع المذكر
بالهاء ومع المؤنث محذوفها وذلك كقوله تعالى سخرها عليهم سبع ليال
وثمانية أيام حسوما والهاء في غير هذا الموطن من خصائص المؤنث كقولك
قائم وقائمة وعالم وعالمة فقد بينت كيف انعكس في هذا الموطن حكم المذكر

والمؤنث حتى انقلب كل منهما في ضد قالبه وبرز في بزة صاحبه   وأمّا
المتبع الذي يجب فيه حفظ المراتب على المضروب والضارب فهو حيث
يشتبه الفاعل بالمفعول لتعذر ظهور علامة الإعراب فيهما أو في أحدهما
وذلك إذا كانا مقصورين مثل عيسى وموسى أو كانا من أسماء الإشارة
نحو ذاك وهذا فيجب لإزالة اللبس إقرار كل منهما في رتبته ليعرف الفاعل منهما بتقدمه
والمفعول بتأخره   وأمّا الاسم الذي لا يفهم إلا باستضافة كلمتين أو الاقـ
منه على حرفين فهو مهما وفيها قولان أحدهما أنها مركبة من مه التي بمعنى
اكفف ومن ما والقول الثاني وهو الصحيح أن الأصل فيها ما فزيد عليها ما أخرى
كما يزاد على إن فصار لفظها ما ما فثقل عليهم توالي كلمتين بلفظ واحد فأبدلوا من
الألف الأولى هاء فصارت مهما ومهما من أدوات الشرط والجزاء ومتى لفظت بها
لم يتم الكلام ولا عقل المعنى إلا بإيراد كلمتين بعدها كقولك مهما تفعل أفعل
ويكون حينئذ ملتزما للفعل وإن اقتصرت منها على حرفين وهما مه التي بمعنى
اكفف فهم المعنى وكنت ملزما من خاطبته أن يكف   وأمّا الوصف
الذي إذا أردف بالنون نقص صاحبه في العيون وهو ما [illegible]
وتعرض للهذ [illegible] فهو ضيف إذا ألحقته النون [illegible]

الضيف ويتنزل في المقعد منزلة الزيف ۝

المقامة الخامسة والعشرون وهي الكرجية

حكى الحارث بن همام قال شتوت بالكرج لدين اقتضيه وارب اقضيه فبلوت من شتائها الكالح وصرها النافح ما عرفني جهد البلاء وعكفني على الاصطلاء فلم اكن ازايل وجاري ومستوقدي الا لضرورة ادفع اليها او اقامة جماعة احافظ عليها فاضطررت في يوم جوه مزمهر ودجنه مكفهر الى ان برزت من كناسي لمهم عناني فاذا شيخ عاري الجلدة بادي الجردة وقد اعتم بريطة واستثفر بفوطة وحوله جمع كثيف الحواشي وهو ينشد ولا يحاشي

يا قوم لا ينبئكم عن فقري — اصدق من عريي اوان القر

فاعتبروا بما بدا من ضري — باطن حالي وخفي امري

وحاذروا انقلاب نظم الدهر — فانني كنت نبيه القدر

آوي الى وفر وحد يفري — تفيد صفري وتبيد تمري

وتشتكي كومي غداة اقري — فجرد الدهر سيوف الغدر

وشن غارات الرزايا الغبر — ولم يزل يحتني ويبري

حتى عفت داري وغاض دري ... وبات شجوي في الورى وشعري

وصرت نضو فاقة وعسر ... عاري المطا مجرداً من قشري

كأنني المغزل في التعري ... لا دفء لي في القر والصنبر

غير الضحى واصطلاء الجمر ... فهل خضم ذو رداء غمر

يسترني بمطرف أو صدر ... طلاب وجه الله لا الشكر

ثم قال يا أرباب الثراء الرافلين في الفراء من أوتي خيراً فلينفق ومن استطاع أن يرفق فليرفق فإن الدنيا غدارة والدهر عثور والمكنة زورة طيف والفرصة مزنة صيف وإني والله لطالما لقيت الشتاء بكافاته وأعددت الأهب له قبل موافاته وها أنا اليوم يا سادتي ساداتي جلدتي بردتي وجفنتي جفنتي فليعتبر العاقل بحالي وليبادر صرف الليالي فإن السعيد من اتعظ بسواه واستعد لمسراه فقالوا له قد حلوت علينا أدبك فاجل لنا نسبك فقال تباً للمفتخر بعظم نخر إنما الفخر بالتقى والأدب المنتقى ثم أنشد

لعمرك ما الإنسان إلا ابن يومه ... على ما تجلى يومه لا ابن أمسه

وما الفخر بالعظم الرميم وإنما ... فخار الذي يبغي الفخار بنفسه

انه ابو زيد وان تعريته لاجتذاب الصيد ولمح هو ان عرفاني قد ادركه ولم يامن
هتكه فقال اقسم بالسمر والقمر والزهر والزهر انه يمس ستري

الا من باب خيمة واشرب ما لمروه اديمه فعقدت ما عقدنا
لقوم معنا ونأى بجانبه من الرعده وفغر ... محمد ...

عُوارَكَ لما وصلتَ الى صِلةٍ ولا انقلبتَ بشيٍ من صِلةٍ فحاجِني عن اختباري البلوى
لكَ وعليكَ بأنْ تسمحَ لي ببُردِ الفروة او نعمرْ فيها فانّ الشتوة فيصلٌ الى نظرِ
المتعجّبِ وانّ مهشتان مهتارُ المغضبِ ثمّ قال اما ردّ الفروة فابعدُ من ردّ امسِ
الدابرِ ولمنّ الغابرِ واما كافُ الشتوة فسبحانَ من طبعَ على ذهنك واوهى وعآ
حزنِك حتى انسيتَ ما انشدتُكَ بالدسكرة لابن سكرة

جآ الشتآءُ وعندي من حوائجهِ ... سبعٌ اذا القطرُ عن حاجاتنا حبسا
كِنٌّ وكيسٌ وكانونٌ وكأسُ طِلًى ... بعدَ الكبابِ وكسٌّ ناعمٌ وكسا

ثمّ قال الجوابُ يشفي خبيرٌ من جلبابٍ يدني فاكتفِ بما وعيتَ ونفسي

نصب وغربه ذلق وشهبه تألق وطلقه زرن وقويم نهجه لاحب وذهنه قلب ونغمته شرق وغرب

سيد قلب سبوق مبر فطن مغرب عزوف عيوف

متلف مخلف عد فريد نابه فاضل ذكي أنوف

مفلق إن أبان صب إذا ناب مهاج وجل خطب مخوف

مناظر شرفه تأتلف وشؤبوب حبائه يكف وأبل نديه فائز ونجح قلبه عائز وخفيف تخايله تختلب وذهب عبابه يحترب من لفه فتح وغلب وأجرأ بمخلب وجلب كفه عن هضم بري وبري من دنس غوي وفرز لبانه بعز ونكب عن مذهب كذا ليس بونى ثاب عند نهز شر بل يعف عنه بت

فلذا يحب ويستحق عفافه شغفا به فلبابه خلاب

أخلاقه غر تزق وفوقه فوق إذا أناصله غلاب

سمح يهش وذو نداه إن همى أمحل فلا تبرح تربه مزناب

ذاب خل بل نادل خرق إذا ابتغى بنزر لا يليه باب

إن عض أزرق غرب عضائنه بنابه فأنجب منه باب

وجابر بمن لب وفطن وقرب وشط إن ذعر لفزع زمن وجابر من بر بنفع ندى

حتى إذا أغرتني موهبته وأطال ذيلي ذهبه تلطفت في الارتحال على ما

نرى من حسن الحال قال فقلت له فشكراً لمن تاح لك القيان البهيج الكريم

وأنقذك من شغطة الغريم فقال الحمد لله على سعادة الجد والخلوص

من الخصم الألد ثم قال أيما أحب إليك أن أحذيك من العطاء أم أتحفك بالرسالة

الرقطاء قلت أملأ الرسالة أحب إلي فقال وهو وحقك أخف علي فإن
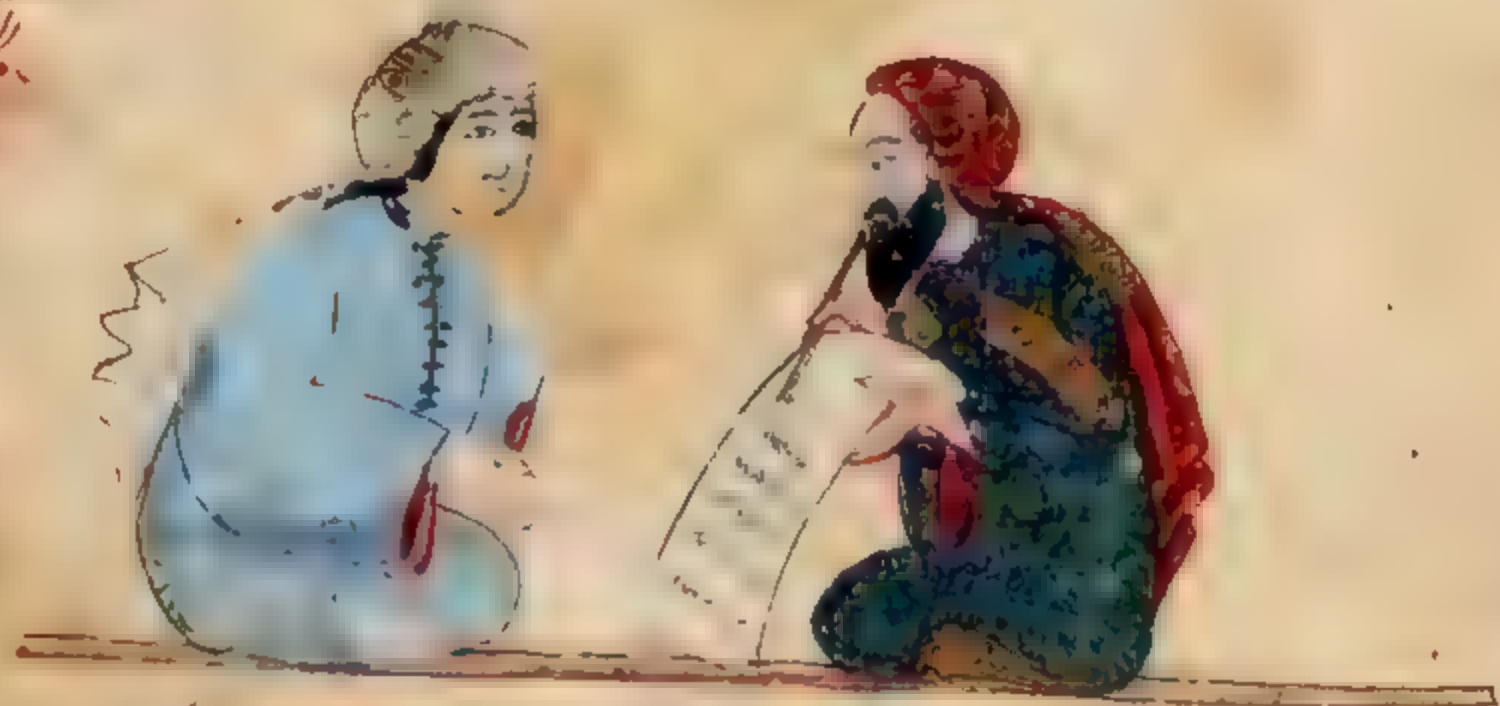
نحلة ما لج في الآذان أهون من نحلة ما يخرج من الأردان ثم كانه أنف

واستحيى فجمع بين الرسالة والحذيا ففرت منه بسهمين وفصلت عنه بغنمين

وأبت إلى وطني قرير العين

بما حزت من الرسالة والعين

المقامة الرابعة والعشرون

حكى الحرث بن همام قال نبت بي في ريق زماني الذي غبر الى مجاورة اهل الوبر لآخذ اخذ نفوسهم الابية والسنتهم العربية فشمرت تشمير من لا يألو جهدا وجعلت اضرب في الارض غورا ونجدا الى ان اقتنيت مجمعا من الرغائب وثلة من الثاغية ثم اويت الى عرب ارداف اقيال وابناء اقوال فاوطأوني امنع جناب وفلوا عني حد كل ناب فثويت عندهم هنية لا افارق صفحتهم الى ان اضللت في ليلة منيرة البدر لقحة غزيرة الدر فلم اطب نفسا بالغاء طلبها والقاء حبلها على غاربها فقدت فرسا بحصارها واعتقلت لدنا خطارا وسريت ليلتي جمعاء اجوب البيداء واقري كل نجد او مرداء الى ان نشر الصبح راياته وحيعل الداعي الى صلاته فنزلت عن متن الركوبة لاداء المكتوبة ثم جلت في صهوتها وفررت عن نحوتها وسرت لا ارى اثرا الا قفوته ولا نشزا الا علوته ولا واديا الا اجتزعته ولا راكبا الا استطلعته وجدي مع ذلك يذهب هدرا ولا يجد وروده صدرا فبينما انا كذلك عمي ولنجح محيري بذهل غيلان عن مي وكان يوما اصول من ذيل نشاذه وحر مردم المفالي فابنت اني ان لم اسكن من الوقدة واتجم

ولا انا على ما ذهب ولو انه واد من ذهب ولا اشتمل بما بين نجد وتهامة بارعك
ولو كان ابن بوجد او نسيق وحكت ثمة كان من كل الذي نقيل ويحامي الى ان نقيل فانت
الابدان انضا تعب والهاجرة ذات لهب ولن ننتقل الحاجر ونشط القار كقايلة
الهواجر وخصوصا في شهري ناجر فقلت ذاك اليك وما اريد ان اشق عليك فافترش
الترب واضطجع واظهر انه قد هجع وارتقبت على ازاجرتي ولا انعس فاخذتني
السنة لما زمت الانسنة فلم افق الا والليل قد تولج والنجم قد تبلج ولا السروجي
ولا المسرج فبت بليلة نابغية واحزان يعقوبية اساور الوجوم واساهر النجوم افكر
تارة في اجلي واخرى في رجعتي الى بيتي الى عند افتراق الضوء وجد اكب
يخد في الدو فاومعت اليه بثوبي وحرك بعرض ارسته فلم يعقنا الماء ولا اوى للثاغي
بل سار على هينته واسمع نشيد هامته فادرت اليه لاسترد فيه واحمل بعطرفه فلما
ادركته بعد لاي وجئت فيه مسرح بعيني وجدت ناقتي مصيبة وضالتي لقطة فما كذبت ان
اذرته من سنامها وجاذبته صرف زمامها وقلت انا صاحبها ومضلها واولى بها ورسلها
فلا تكن كاشعب فتتعب وتتعب واخذ لينزع ويجثي ويتيح وذا يستحيي وبينا هو ينهر ويلبي
وبينا شد ويستكين غشينا ابو زيد لابسا جلد النمر وهاجما هجوم السيل منحدرا
والله ان يكن يومه كامسه وبدره مثل شمسه فخو بانقا رطبي واصية خبه [illegible]

ال

ان ذكّرته العهودَ المنسيّةَ والفعلةَ المنسيّة وأنشدته الله وأبى البوه للتلاقي

ام لما فيه الملاقي فقال معاذ الله ان اجمع على مكلومي وأصل حوزي بسموي بل فيد

لاخيه ذيه جالمه واكون بمثابة تبالكم فمكن عند ذلك جاشي وانجاب استيحاشي واطلعته

للفجة وشوقه صاحبي بالفحة فنظر اليه نظر لبيب العرينة اي الفريسة ثم انشرح قلبه

الرمح واقسم له من ابشار الصبح لئن المنتج منه الدباب دبرهن من الغنيمة بالاياب

بورد تسماته وزبده ولفحه عزبه ولبيد ووديه فسمعت ما من دنائه وجاش واقلت

ولم خاص فقال ابو زيد بسلمها وشبهتها بالذي الحسيب وقال بغور من يبين

قال الحرث فصماه فحنبيتن لؤم ابي زيد وشكره وبينه نعمه بجبرته

وكأنه يوحي بذات صدري او تكهن ما خامر سري فقابلني بوجه طليق

واشد بلسان ذليق

يا خي الجامل ضيمي دون اخواني وقومي

ان تكن ساءك امسي فلقد سرك يومي

فاغتفر ذاك لهذا واطرح شكري ولومي

[illegible] انسيتو وانت مني فكيف تتفقوولي نفسي اديم

[illegible] نصوب فه انما اكن فما عدت [illegible] ان فعفدت منصبي وعذت

الطيبي حتى وصلتُ الى حِلَّتي بعد التنائي والنوى ❁

تفسير ما أُودِعَ هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله ريّق زماني يعني أوّله ورايقه وقد يشدّد فيقال ريّق **وقوله** إخذ نفوقهم
يعني اقتدي بهديهم يقال منه أخذ إخذه واخذه بكسر الهمزة وفتحها والجمة نحو
المائة من الابل والثلة القطيع من الغنم والراغية الابل والثاغية الشاء
ومنه قولهم ما له ثاغية ولا راغية اي لا ناقة ولا شاة وقوله ارداف اقيال
اي يخلفون الملوك اذا غابوا وقوله ابنا اقوال اي فصحا آيتا للنطق
انه ابن اقوال **وقوله** قد ترن محضارا الندر الوثوب على ظهر الفرس والمحضار
والمحضير الشديد العدو ماخوذ من الحضر **وقوله** افرى كل نجرآ ومرداً الافرا
تتبع الارض والنجرا ذات الشجر والمردا الخالية من النبات ومنه اشتقاق الامرد
لخلو وجهه من الشعر **وقوله** حيعل بداعي الحي لانه يعني به قول المؤذن حي على
الصلاة حي على الفلاح والمصدر منه الحيعلة ومثله الهيللة والحمدلة و...
والبسملة والحسبلة والسبحلة والجعلفه ❁ فالهيللة ... لا اله الا الله

والحولقة حكاية قول لا حول ولا قوة الا بالله والبسملة حكاية قول بسم الله
والحسبلة حكاية قول حسبنا الله والسبحلة حكاية قول سبحان الله والجعفلة
حكاية قول جعلت فداك **وقوله** فنزلت عن المركوبة يعني المركوبة
بهتانا فقد ركوب وركوبة وحلوب وحلوبة وقد قرئ فمنها ركوبهم
والصهوة مقعد الفارس والنجوة الخطوة والجزع قطع الوادي عرضا **وقوله**
ضحكة عمي يعني به قائم الظهيرة وقد اختلف في اصله فقيل كان عمي رجلا مغوارا
فغزا قوما عند قائم الظهيرة وضحكهم ضحكة شديدة فصار مثلا لكل من
جاء مثل ذلك الوقت وقيل اراد به الظبي لانه يستدرج الهواجر فيصطك
بما يستقبله كاصطكاك الاعمى ثم صغر الاعمى تصغير الترخيم فقيل عمي كما صغروا
اسود وازهر فقالوا سويد وزهير **وقوله** ودت يوما اطول من ظل القناة
لانه [illegible] اليوم القصير بانها ام انقطاعه والعرب تزعم ان ظل الرمح اطول الظلال ومنه قول
الشاعر شبرمة بن الطفيل

ويوم كظل الرمح قصر طوله دم الزق عنا واصطفاق المزاهر

حرمن دمع المقلات من التي لا يعيش لها ولد فدمعها ابدا جار
حرها دائم [illegible] دمعة الحزن حارة ودمعة السرور باردة ولهذا

قيل للمدعو عليه لتحل الله عينه ماخوذ من السخنة وهي الحرارة وقيل ان اقرار العين ماخوذ من القرار فكانه دعا له ان يرزق ما يقر عينه حتى لا تطمح الى مال غيره وكانت الجاهلية تزعم ان المقلات اذا وطيت على قتيل شريف عاش ولدها والى هذا اشار بشر بن ابي خازم في قوله

تظل مقاليت النساء يطانه يقلن الا يلقى على المرء مئزر

قيل انها اذا وطيت على المقتول المغدور به عاش ولدها وفسر البيت على المعنى

علقت بي شعوب يعني المنية ولا تدخل هذا الاسم اداة التعريف

مثل دجلة وعرفة **وقوله** اعوز تحتها الى المغير ان البغوير النزول للقايلة

ذا ان التعريس النزول آخر الليل للتهويم او الاستراحة والمغير ان تصغير

المغرب وكان قياس تصغيره المغيرب لان العرب الحقت آخره الفا ونونا على

طريق الشذوذ **وقوله** مضطغنا اهبة نجوابه الاضطغان ان يحمل الشي

تحت حضنه والاضطبان ان يجعله تحت ضبنه واول مراتب الحمل الابط ثم بالحضن

الضبن وهو اسفل الابط ثم الحضن وهو عند الجنب والتجواب مصدر جاب وجمع

المصادر التي جاءت على تفعال هي بفتح التاء الا قولهم تبيان وتلقاء

وزاد بعضهم تنضال **وقوله** مجرى ومجرى يريد به جمع الطاهر والباطن

ابن حجر

واصل العجز العقد النابتة في العصب والبحر العقد النابتة في البطن ●

قوله ولم يقل ايها اي لم يا مولي بل كف بقال للمتزايد والمستنكف ايها

قوله لامرٍ ما جدع قصير انفه قصة هذا مولى هو مولى جذيمة الابرش

وكان جدع انفه بيده حين قتلت الزبا مولاه ثم اتاها واوهمها ان عمرو بن عدي ابن

اخت جذيمة هو الذي جدع انفه اتهاما له بانه غش خاله جذيمة اذ اشار

عليه بقصدها فحظي بهذا القول عندها حتى جهزته مرارا الى العراق فكان يأتيها بالطرف

منه الى ان استصحب في آخر نوبة الرجال في الصناديق وتوسل الى قتلها والاخذ بثار

مولاه منها وقصته مشهورة قوله ولو كان ابن بوح يعني ولد الصلب اشارة

الى انه ولد في باحة الدار وهي عرصتها وجمعها بوح وقيل ان البوح من اسماء الذكر

وقوله في شهري ناجر هما شهرا الحر وقيل انهما حزيران وتموز وانكر

ابو بكر بن دريد هذا القول وقال هما طلوع نجمين قوله بليلة نابغة وما به

من قول النابغة ● فبت كاني ساورتني ضئيلة من الرقش في انيابها السم ناقع

قوله المغتاليه بتوني يعني اثرت فيك ان منه الع ولع بمعنى قوله بلدغ

... جدها ... ضرب لمن ظلم ويتشكى يقال ان العقرب تمشي صئيا وصئيا

... دوس ... اذا صوتت وكذلك الفرخ وما احسن قول ابن الرومي في هذا المعنى

شكى المحب وتشكو وهي ظالمة كالقوس تصمي الرمايا وهي مرنان

وقوله يثروا وابن هذا المثل يضرب لمن ... ثم يذل ويقال الذي نشله اجاد يثروا

وهو صغير نادا كبر ذل وقوله لا يساجله النمر هذا المثل يضرب للشجاع الجري،

لان النمر اجري سبع واقله احتمالا للضيم ومن هذا اشتقاق قولهم تنمر اي صار

مثل النمر وقوله فالحق بالقارظين لانه في القارظ انه الذي يجني القرظ

وهو النبات المدبوغ به والقارظان المشار اليهما احدهما من عنزة والاخر

من النمر بن قاسط وهما خرجا يجتنيان القرظ فلم يرجعا ولا عرف لهما خبر

فضرب بهما المثل لكل غائب لا يرجى ايابه واليهما اشار ابو ذويب في قوله

وحتى يؤوب القارظان كلاهما وينشر في القتلى كليب لوائل

وقوله حروري يشوي الحرور الريح الحارة ليلا والسموم الريح الحارة نهارا

وقد يقام احدهما مقام الاخرى مجازا وذكر ان الحرور يكون ليلا ونهارا والسموم

يختص بالنهار وقوله ليث لعربنة يعني ماوى السبع يقال فيه عرين وعرينة

باثبات الهاء وحذفها كما يقال غاب وغابة وعرين وعرينة فاما الغيل والخيس

فلم يلحقوا بهما الهاء • وقوله افلت ولا حصاص هذا المثل يضرب لمن

نجا من هلكة اشفى عليها بعدما ... فيها والحصاص احد ...

شرفه وكنت يومئذ قويم الشطاط جموح النشاط ارمي عن قوس المراح الى غرض
الافراح واستعين بماء الشباب على ملامح السراب فوافيتها بكرة عروبة بعد
ان كابدت الصعوبة فسعيت وما الويت الى ان حصلت البيت فما تعللت الا ريث
وملكت قود عنزي حتى عجت الى الحمام على الاثر فاماطت عني وعثاء السفر واخذت
في غسل الجمعة بالاثر ثم بادرت في هيئة الخاشع الى مسجد الجامع لاحظى بمن
يقرب من الامام بمقرب افضل الانعام فحظيت بان جلست في المبدأ وتخيرت
المركز لاستماع الخطبة ولم يزل الناس يدخلون في دين الله افواجا ويردون
فرادى وازواجا حتى اذا اكتظ الجامع بحفله واطل تساوي الشخص وظله
برز الخطيب في اهبته متهاديا خلف عصبته فارتقى في منبر الدعوة الى ان
مثل بالذروة فسلم مشيرا باليمين وجلس حتى ختم التاذين ثم قام وقال
الحمد لله الممدوح الاسماء المحمود الآلاء الواسع العطاء المدعو لحسم اللأواء
مالك الامم ومصور الرمم واهل السماح والكرم ومهلك عاد وارم
ادرك كل سر علمه ووسع كل مصر حلمه وعم كل عالم طوله وهد
كل مارد حوله احمده حمد موحد مسلم وادعوه دعاء مؤمل مسلم وهو الله لا
اله الا هو الواحد الاحد العادل الصمد لا ولد له ولا والد معه ولا عاضد ارسل محمدا

للاسلام ممهدا وللملة موطدا ولادلة الرسل مؤكدا وللاسود والاحمر مسددا

وصل الارحام وعلم الاحكام ووسم الحلال والحرام ورسم الاحلال والاحرام كرم الله

محله وكمل الصلاة والسلام له ورحم آله الكرماء واهله الرحماء ما همر ركام وهدر حمام

وسرح سوام وسطا حسام   اعملوا رحمكم الله عمل الصلحاء واكدحوا لمعادكم كدح

الاسحاء وارتدعوا اهواكم ردع الاعداء واعدوا للرحلة اعداد السعداء وادرعوا
حلل الورع وداووا علل الطمع وسووا اود العمل وعاصوا وساوس الامل وصوروا
لاوهامكم حوول الاحوال وحلول الاهوال ومساورة الاعلال ومصارمة المال
والآل واذكروا الحمام وسكرة مصرعه والرمس وهول مطلعه واللحد ووحدة مودعه
والملك وروعة سواله ومطلعه والمحوا الدهر ولومه كره وسو محاله ومكره كم طمس معلما
وامر مطعما وطحطح عرمرما ودمر ملكا مكرما همه سك المسامع وسح المدامع واكدا
المطامع وارداء المسمع والسامع عم حكمه الملوك والرعاع والمسود والمطاع والجنود
والحساد والاساود والاساد ماله لا مال وعكس الامال ولا وصل الا وصال
ولا سمع كلا ولا وعا ولؤم وساء ولا اسمح الا لدا لدا وروع الاودا الله الله عباد الله
الام الامد ومد اللهو ومواصلة السهو وطول الاصرار وحمل الاصار واطراح
كلام الحكما ومعاصاة اله السماء اما الهرم حصادكم والمدر مهادكم اما
الحمام مدرككم والصراط مسلككم اما الساعة موعدكم والساهرة موردكم
اما اهوال الطامة لكم معدة اما دار العصاة الحطمة الموصدة حارسهم مالك
ورداهم حالك وطعامهم السموم وهواهم السموم لا مال اسعدهم ولا ولد
ولا عدد حماهم ولا عدد رحم الله امرا ملك هواه وام مسالك هداه واحكم

طاع مولاه وكدح لروح مورده وعمل ما دام العمر مطاوعا والدهر موادعا

والصحة كاملة والسلامة حاصلة والا دهمه عدم المرام وحصر الكلام

وإلمام الآلام وحموم الحمام وهدوّ الحواس ومراس الأرماس آهاً لها حسرة

لهام موردها وأمدها سرمد ومماريها مركد ما لوهدها حاسم ولا لسد موردها حم ولا

لما عراه عاصم الحمد لله أحمده لهاه وود كرر دأ الاكرام وادلكم دار السلام

وأسأله الرحمة لكم ولأهل ملة الإسلام وهو أسمح الكرام والسلام قال الحارث

ابن همام فلما رأيت الخطبة نخبة بلا سقط وعروسا بغير نقط دعاني الإعجاب

بنظمها العجيب إلى استجلاء وجه الخطيب فأخذت أتوسمه جدا وأقلب الطرف فيه

مجدا إلى أن وضح لي بصدق العلامات أنه أبو زيد ذو المقامات ولم يكن بد من

الصمت في ذلك الوقت فأمسكت حتى تحلل من الفرض وحل الانتشار في الأرض ثم

وأجهت تلقاءه وابتدرت لقاءه فلما لحظني خف إلى السلام واحتفى في الإكرام

ثم استصحبني إلى داره وأودعني خصائص أسراره وحين أنشر جناح الظلام

وحان ميقات المنام أحضر أباريق المدام مختومة بالفدام فقلت أتحسوها

ماه النده وأنت إمام القوم فقال مه أنا بالنهار خطيب وفي الليل أطيب

فقلت والله ما أدري أعجب من تسلك عن ابانك ومسقط رأسك أم من خطابك مع

اذا نسك ومداد كاس فاشاح بوجهه عني ثم قال اسمع مني

لا تبك الفاً نأى ولا دارا ودر مع الدهر كيف ما دارا

واتخذ الناس كلهم سكناً ومثّل الارض كلها دارا

واصبر على خلق من تعاشره وداره فاللبيب من دارى

ولا تضع فرصة السرور فما تدري ايوماً تعيش ام دارا

واعلم بان المنون جائلة وقد ادارت على الورى دارا

واقسمت لا تزال قانصة ما كر عصر الحيا وما دارا

فكيف ترجو النجاة من شرك لم ينج منها كسرى ولا دارا

قال فلما انعمنا الكؤوس وطربت النفوس جر على اليمين الغموس على ان جنف عليه

الناموس واشتعل ضرامه ورعيت ذمامه وترك لي بين الملأ منزلة الفضيل
وسدلت الذيل على مخازي ليل ولم يزل ذلك دأبه ودأبي الى ان تهيأ الاياب
فودعته وهو منطوٍ على لهب البين ومستحلٍ جنى الخندريس

المقامة التاسعة والعشرون

حكى الحارث بن همام قال ألجأني حكم دهر قاسط الى ان انتجع ارض واسط فقصدتها
وانا لا اعرف بها سكنا ولا املك فيها مسكنا ولما حللتها حلول الحوت بالبيداء
والشعرة البيضاء في اللمة السوداء قادني الحظ الناقص والجد الناكص الى خان
ينزله شذاذ الآفاق واخلاط الرفاق وهو لنظافة مكانه يرغب الغريب في ايطانه
وينسيه هوى اوطانه فاستفردت منه بحجرة ولم اماكس في اجرة فما كان الا كلمح طرف
او خطفة حرف حتى سمعت جارا لي يقول لنزيله في البيت قم يا بني لا قعد جدك
ولا قام ضدك واستصحب ذا الوجه الندي والسمت الزكي والاصل النقي
والجسم الشقي الذي قبض وبسط وبخر وسهم وسعى وفحص وادخل النار بعد ما
بث ثم اركض الى السوق ركض المشوق فقايض به اللاقح الملقح المفسد المصلح
الذي ينمي المروة ذا الرفيق المحرز والجنين ... والنفط المقنع

إلا أنهم لو خطب إليهم إبراهيم بن أدهم أو جبلة بن الأيهم لما زوجوه إلا على خمسمائة

درهم اقتداء بما مهر الرسول زوجاته وعقد به أنكحة بناته على أنك لن تطالب بهذا في

ولا تلجأ إلى طلاق ثم إني سأخطب في موقف عقدك ومجمع حشدك خطبة لم تقرع أذن

سمع ولا خطب بمثلها في جمع قال الحارث بن همام فازدهاني بوصف الخطبة المتلوة دون

الخطبة المجلوة حتى قلت له قد وكلت إليك هذا الخطب فدبره تدبير من طب لمن حب

فمضى مسرورا ثم عاد متهللا وقال أبشر بإعتاب الدهر واجتلاب الدر فقد وليت

العقد وكفلت النقد وكان قد تم أخذ في مواعدة أهل الكهف وإعداد حلواء الخوان

فلما مد الليل أطنابه وغلق كل ذي باب بابه أذن في الجماعة ألا احضروا في هذه

الساعة فلم يبق فيهم إلا من لبى دعوته وحضر بنيته فلما اصطفوا لديه واجتمع الشاهد والمشهود

عليه جعل يرفع الاصطرلاب ويضعه ويلحظ النجوم ويدعه إلى أن نعس القوم وغشي

النوم فقلت له يا هذا ضع الفأس في الرأس وخلص الناس فنظر نظرة في النجوم ثم

انتشط من عقلة الوجوم وأقسم بالطور والكتاب المسطور ليكشفن لك سر هذا

الأمر المستور وليبقين ذكره إلى يوم النشور ثم إنه جثا على ركبتيه وأسرع

إلى إتمام خطبته وقال الحمد لله الملك المحمود المالك الودود مصور

كل مولود ومآل كل مطرود ساطح المهاد وموطد الأطواد ومرسل الأمطار ومسهل

للأوطار عالم الأسرار ومدركها ومدمّر الأملاك ومهلكها ومكوّر الدهور ومكرّرها

ومورد الأمور ومصدرها عمّ سماحه وكمل ركامه وهطل وطاوع السؤل والأمل

وأوسع المرمل والأرمل أحمده حمداً ممدوداً مداه وأوحّده كما وحّده الأوّاه وهو

الله لا إله للأمم سواه ولا صادع لما عدّله وسوّاه أرسل محمداً علماً للإسلام وإماماً للحكام

ومسدّداً للرعاع ومعطّلاً أحكام ودّ وسواع أعلم وعلّم وحكم وأحكم وأصّل الأصول

ومهّد وأكّد الوعود وأوعد أوصل الله له الإكرام وأودع روحه السلام ورحم

آله وأهله الكرام ما لمع آل وملع دال وطلع هلال وسمع إهلال اعملوا رعاكم الله أصلح

الأعمال واسلكوا مسالك الحلال واطّرحوا الحرام ودعوه واسمعوا أمر الله وعوه

وصلوا الأرحام وراعوها وعاصوا الأهواء واردعوها وصاهروا لحمة الصلاح والورع وصارموا

رهط اللهو والطمع ومصاهركم أطهر الأحرار مولداً وأسراهم سؤدداً وأحلاهم

مورداً وأصحّهم موعداً وها هو أمّكم وحلّ حرمكم مملّكاً عروسكم المكرّمة وما مهر لها

كما مهر رسول الله أمّ سلمه وهو أكرم صهر أودع الأولاد وملّك المراد وما سها مملّكه

ولا وهم ولا وكس ملاحمه ولا وصمه أسأل الله لكم أحماد وصاله ودوام إسعاده

وألهم كلاً إصلاح حاله والإعداد لمعاده وله الحمد السرمد والمدح لرسوله

محمد فلما فرغ من خطبته البديعة النظام العرية من الإعجام عقد العقد

وخضتُ في هولٍ يَراعُ الأُسْدُ فيه من الوقوف

وَلَكَم سفكتُ وكم فتكتُ وكم هتكتُ حمى أنوف

وكم ارتكضتُ مُوثَّبًا في الذنوب وكم خفوف

لكنّني أعددتُ حسن الظنّ بالمولى الرؤوف

فلمّا انتهى إلى هذا البيت لجّ في الاستعبار وألظّ بالاستغفار حتى استمال هوى قلبي المنحرف ورجوتُ له ما يُرجى للمقترف المعترف ثمّ إنّه غيّض دمعه المنهمل وتأبّط

جرابه وانسلّ وقال لابنه احمل الباقي والله الواقي قال المخبر بهذه الحكاية فلمّا رأيتُ انسياب الحيّة والحُيَيّة وأنّهما الداء إلى الكيّة عمدتُ أن تثبتي قدمًا بأنّا

مخيلة سهوان فضممت حبلي وجمعت للرحلة ذيلي وبت ليلتي اسري الى الطيب
واحتسب الله على الخطيب

ألمقامة الثلثون

حكى الحرث بن همام قال ارتحلت من مدينة المنصور الى بلدة صور فلما حملت
بها ذا رفعة وخفض وما لك رفع وخفض تقت الى مصر توقان السقيم الى الاساة والكريم
الى المواساة فرفضت علائق الاستقامة ونفضت عوائق الاقامة واعروريت ظهر النعامة
واجفلت نحوها اجفال النعامة فلما دخلتها بعد معاناة الاين ومداناة الحين كلفت بها
كلف النشوان بالاصطباح والحيران بتنفس الصباح فبينا انا يوما بها اطوف وتحتي
فرس قطوف اذ رايت على جرد من الخيل عصبة كمصابيح الليل فسالت لابتغاء النزهة
والوجهة فقيل اما القوم فشهود واما المقصد فاملاك مشهود فحداني ميعة النشاط
على ان سرت مع الفراط لافوز بحلاوة اللقاط واجوز حلوا السماط فافضينا بعد مكابدة
العناء الى دار رفيعة البناء وسيعة الفناء تشهد لبانيها بالثراء والسناء
فلما انتآء صهوات الخيول وقدمنا الاقدام للدخول رايت دهليزها مجللا
باكسية محففة ومكللا بنعال معلقة وهناك شخص على قطيفة فوق دكة

لطيفة وإني عنوان الصحيفة ومرآة هذه الطريقة وداعي النخبة بتلك
المناجح إلى أن عمدت لذلك الجامع مع علمي بمصرف لا قدر ليعرفني من رتب
هذه الدار فقال رجالها ما لك معتبر ولا صاحب منتبه وإنما هي مصطبة المقتفين
والمذروزين ووظيفة المستقسين والحلوانيين فقلت في نفسي إنا لله على ضلة المسعى ونجاح
المرعى وهممت في الجبأ بالرجعى ولكني استحييت العود من فوري والقهقرة دون
غيري فولجت الدار متجرعا الغصة حتى العثور القفص فإذا فيها أرائك منقوشة وطنافس
مفروشة ونمارق مصفوفة وستور مسجوفة وقد أقبل الهمام يمشي في بردته ويتهادى بين
حفدته فجلس على [illegible] إذ ساد من قبيل الحمائل وحرمه سا ان
أستاذ الأستاذين وقدوة الجاذبين لعقد هذا المحفل في هذا اليوم الأغر المحجل إلا الذي جال وجاب
وشب في كديه وشاب فأعجب رهط الحضر ما استروه البعوادي في حمار المنصوص عليه فزحزحت بين يد
شيخ قد مال للهزال قامته ونور القتام تغشى هامته فسار من الجماعة بإقباله وبادرت
إلى استقباله فلما جلس على زربيته وسكنت الموثيات الهيبة إذ دلف إلى مسنده ومسح سبلته بيده
ثم قال الحمد لله المبتدئ بالإفضال المبدع للنوال المتفرد بالسول
المؤمل لتحقيق الآمال الذي شرع الزكاة في الأموال وزجر عن نهر السول وندب إلى مواساة
المضطر وأمر بإطعام القانع والمعتر ووصف عباده المقربين في كتابه المبين فقال وهو

القانعين والذين اموالهم حق للسائل والمحروم احساناً فيما رزق من طعمة هنية واعوذ به

من استماع دعوة بلا نية واشهد ان لا اله الا الله وحده لا شريك له الهاً يجزي المتقين

...بات ويمحق الربا ويربي الصدقات واشهد ان محمداً عبده الرحيم ورسوله الكريم

[illegible] ظلمة بالنبا وينصف للفقرا من الاغنيا ورفق صلى الله عليه بالمسكين

وخفض جناح المستكين وفرض الحقوق من اموال المثرين وما يجب للمقلين على المكثرين

صلى الله عليه وسلم صلوة تحظيه بالزلفة وتحظي اصحابه اهل الصفة اما بعد فان الله تعالى شرع النكاح

ليتعففوا وسن التناسل ليتضاعفوا فقال سبحانه ليعرفوا انا خلقناكم من ذكر

وانثى وجعلناكم شعوبا وقبائل لتعارفوا وهذا ابو الدراج ولاج بن خراج [illegible] ذو

وِرْدُهَا من سلسبيلٍ ونسيمُ رُبَاهَا مَمْزُوجْ
وبنوها ومغانيهم نجومٌ وبروجْ
حبذا نفحةُ رَيَّاهَا ومرآها البهيجْ
وأزاهيرُ رُباهَا حين تنجابُ الثلوجْ
من رآها قال هي جنّةُ الدنيا سروجْ
ولمن ينزاحُ عنها زفراتٌ ونشيجْ
مثلُ ما لاقيتُ مذ زحزحني عنها العلوجْ
عَبْرةٌ تهمي ونجوٌ كلّما فاتَ يهيجْ
وهمومٌ كلّ يومٍ خطبُها خطبٌ مريجْ
ومتاعٌ في الترجّي فأما أن الخطو عوجْ
ليت يومي حُمّ لمّا حُمّ لي منها الخروجْ

١١ - فلما ابين لي ووعيتُ ما انشده ايقنتُ انه علامتُنا ابو زيدٍ وان كان الهرم قد آده بعصيه فبادرتُ الى مصافحته واغتنمتُ مؤاكلته من جبينته وطلت مدة مقامي بمصر اعشوا الى مواطنه واجتني اصدافي من درر الفاظه الى ان نعب بيننا غراب البين ففا
مفارقة الجفن للعين

المقامة الحادية والثلاثون

حدّث الحارث بن همّام قال كنت في عنفوان الشباب وريعان العيش اللباب
أقلي الاكتنان بالغاب وأهوى الاندلاق من القراب لعلمي أن السفر ينجح السعي ويبهج
الظفر ومعاقرة الوطن بعقر الفطن ويحقر من قطن فأجلت قداح الاستشارة وأقدحت
زناد الاستخارة ثم استجشت جأشا أثبت من الحجارة وأصعدت إلى الشام للتجارة
فلما خيمت بالرملة وألقيت بها عصا الرحلة صادفت بها ركابا تعدّ للسرى ورحالا تشدّ
إلى أم القرى فعصفت بي ريح الغرام واهتاج لي شوق إلى البيت الحرام فزممت ناقتي ونبذت
علقي وعلاقتي

وقلت للائمي أقصر فإني ... سأختار المقام على المقام
وأنفق ما جمعت بأرض جمع ... وأسلو بالحطيم عن الحطام

ثم انتظمت مع رفقة كنجوم الليل لهم في السير جرية السيل وإلى الخير جري الخيل
فلم نزل بين إدلاج وتأويب وإيجاف وتقريب إلى أن حبسنا أيدي المطايا بالجحفة في
انتقالنا إلى الجحفة فحللناها متأهبين للإحرام متباشرين بإدراك المرام فلم يك إلا أن
أنخنا الركائب وحططنا الحقائب حتى طلع من بين الهضاب شخص ضاحي الإهاب
فنادى هل لذا النديّ هلمّ إلى ما ينجي من التنادي فانحط إليه الحجيج وانثالوا

واجتمعوا به وانصتوا فلما راى تألفهم حوله واستعظامهم قوله تسنم احدى الاكام
ثم تنحنح مستفتحا للكلام وقال يا معشر الحجاج الملتبسين من الفجاج اتعقلون ما تواجهون
والى من توجهون ام تدرون على من تقدمون وعلى ما تقدمون اتخالون الحج هو اختيار
الرواحل وقطع المراحل واتخاذ المحامل وايقار الرواحل ام تظنون ان النسك هو نضو
الاردان وانضاء الابدان ومفارقة الولدان والتنائي عن البلدان كلا والله بل هو
اجتناب الخطية قبل اجتلاب المطية واخلاص النية في قصد تلك البنية وامحاض
الطاعة عند وجدان الاستطاعة واصلاح المعاملات امام اعمال اليعملات فوالذي
شرع المناسك وارشد السالك في الليل الحالك ما يزكي الاغتسال بالذنوب والانغماس
في الذنوب ولا يغني تعرية الاجسام مع تعبية الاجرام ولا يغني لبسة الاحرام
من الملتبس بالحرام ولا ينفع الاضطباع بالازار مع الاضطلاع بالاوزار ولا يجدي
التقرب بالحلق مع التعلق في ظلم الخلق ولا يرحض التنسك بالتقصير دون التمسك بالتقية
ولا يسعد بعرفة غير اهل المعرفة ولا يزكو بالخيف من يرغب في الحيف ولا يشهد
لمقام الا من استقام ولا يحظى بقبول الحجة من زاغ عن المحجة فرحم الله امرا صفا
قبل مسعاه الى الصفا وورد شريعة الرضا قبل شروعه في الاضا ونزع عن تلبيسه قبل
نزع ملبسه وفاز بمعروفه قال فانه من تعريفه ثم رفع عقيرته ينشد

وكاد يزعزع الجمال النفر وانشد

ما الحج سيرك تأويبا وإدلاجا ولا اغتباقك أجمالا وأحداجا

الحج أن تقصد البيت الحرام بلا تحرّج لتقضي للحج حاجا

وتمتطي غارب الإنصاف متخذا زاد التقى ومن الإخلاص منهاجا

ورنوتُ بي ... فثبتُ مقدمةً من كانَ اوجدوا انجحا

فما ان حوت ناحيةً كملت وان خلا ... منها كان اخدجا

حتى اذا ... بعد ... ثم ... وما ... منها وانعبا

وانثنى ... ومحاله ... عنه ... باب ...

ووقع بالبنان على لبان واندفع ينشد

ليس من زار زاكيا مثل ساع على قدم
لا ولا خادم الطمع كساع من الخدم
كيف يا قوم نستوي سعي بار ومن هدم
سيقيم المفرطون غدا مأتم الندم
ويقول الذي تسربل طوبى لمن خدم
ويك يا نفس قدمي صالحا عند ذي القدم
وازدري زخرف الحيوة فموجوده عدم
واذكري مصرع الحمام واذ اخطأه صدم
واندبي فعلك القبيح وبكي له بدم
واغيثيه بتوبة قبل ان يحلم الادم
فعسى الله ان يقيك السعير الذي احتدم
يوم لا عثرة تقال ولا ينفع الندم

ثم اغمد عضب لسانه وانطلق لشأنه فما زلت في كل مورد ومعر
اتوسمه انتقده فافتقده واستنجد من ينشده فلا اجده حتى خلت انه جن

اختطفته أو الأرض اقتطفته فما كابدت في الغربة كهذه الكربة ولا منيت في سفرة

المقامة الثانية والثلاثون

حكى الحارث بن همام قال أجمعت حين قضيت مناسك الحج وأقمت وظائف العج والثج

أن أقصد طيبة مع رفقة من بني شيبة لأزور قبر المصطفى وأخرج من قبيل من حج ثم

فأرجف بأن ... شاغرة وعرب الحرمين متشاجرة فحرت بين إشفاق يثبطني وأشواق

تنشطني ... الذي في روعي الاستسلام وتغليب زيارة قبره عليه السلام فأعملت

العيس ... ـدة وسرت والرفقة لا نلوي على عرجة ولا نثني في تأويه ولا

دلجة ... بني حرب وقد آبوا من حرب فاستمعنا أن ننتحي ظلال البيوت

في ... نحن بتخيير المناخ وتوردوا لورد النقاخ إذ أبناؤهم يكصون

كأنهم ... بنو قصون فرأينا أشبالهم وتأملنا ما بالهم فقيل قد حضر ناديهم

فقيه العرب فاجتمعوا لهذا السبب فقلت لرفقتي ألا نشهد مجمع الحي لنتبين

الرشد من الغي فقالوا لقد سمعت إذ دعوت ونصحت فيما ألوت ثم نهضنا

نبتغي النادي ونأتم المنادي حتى إذا أطللنا عليه وأشرفنا الفقيه المنهود إليه

... به ... لتشرو ... والفقر وقد اعتم القفدا واشتمل الصما وقعد

قال فهل يجوز السجود على الكراع	قال نعم دون الذراع	الكراع ما استطال من الحرة وهي ارض سودا بها حجارة سود
قال أيصلي على رأس الكلب	قال نعم كسائر الهضب	رأس الكلب ثنية معروفة
قال ما تقول فيمن صلى وعانته باردة	قال صلوته جايزة	العانة الجماعة من حمر الوحش
قال فإن صلى وعليه صوم	قال ليعيد ولو صلى مائة يوم	الصوم ذرق النعام
قال فإن حمل جروا وصلى	قال هو كما لو حمل باقلى	الجرو الصغار من القثا والرمان
قال أيجوز صلوة حامل القروة	قال لا ولو صلى فوق المروة	القروة ميلغة الكلب
قال فإن قطر على ثوب المصلي نجو	قال يمضي في صلوته ولا غرو	النجو السحاب الذي قد هراق ماءه
قال أيجوز أن يؤم الرجال مقنع	قال نعم ومدرع	المقنع لابس المغفر والمدرع لابس الدرع
قال فإن أمهم من في يده وقف	قال يعيد ولو أنهم ألف	الوقف السوار من العاج والذبل وارادة لا يجوز [illegible] الامام بالنسا
قال فإن أمهم من فخذه بادية	قال صلوته وصلاتهم جايزة	الفخذ العشيرة وبادية يسكنون البادية واحد [illegible] للعشيرة [illegible] النحاة
قال فإن أمهم الثور الأجم	قال صل وخلاك ذم	الثور السيد [illegible] الاجم [illegible] معه
قال أيدخل القصر في صلوة الشاهد	قال لا والغايب كالشاهد	صلوة الشاهد صلوة المغرب سميت بذلك لانها [illegible] نجم [illegible] النجم
قال أيجوز للمعذور أن يفطر في شهر رمضان	قال ما رخص فيه الا للصبيان	المعذور المختون وهو ايضا المعذ[illegible]
قال فهل للمعرس أن ياكل فيه	قال نعم بملء فيه	المعرس المسافر الذي ينزل آخر الليل
قال فإن افطر فيه العراة	قال لا تنكر عليهم الولاة	العراة الذين ياخذهم العرواء [illegible]

قال فإن أكل الصائم بعدما أصبح	قال هو أحوط له وأصلح	أصبح أي استضاء بالمصباح
قال فإن عمد لأن أكل ليلًا	قال يشمّر للقضاء ذيلًا	ليل الأنثى من فرخ الحبارى وكرهه ابن دريد
قال فإن أكل قبل أن توارى البيضاء	قال يلزمه وأبيه القضاء	البيضاء من أسماء الشمس
قال فإن استثار الصائم الكيد	قال أفطر ومن أحلّ الصيد	الكيد القيء واستثاره أي استدعاه
قال فهل يفطر بالحاج الطابخ	قال نعم لا بطا في الصالخ	الطابخ الحمى الصالب
قال فإن ضحكت المرأة في صومها	قال بطل صوم يومها	ضحكت هنا حاضت ومنه قوله تعالى فضحكت فبشرناها بإسحق
قال فإن ظهر الجدري على ضرتها	قال تفطر إن أذن بمضرتها	الضرة أصل الإبهام وأصل الثدي أيضا
قال ما يجب في مائة مصباح	قال حقتان يا صاح	المصباح الناقة التي تصبح في المبرك
قال فإن ملك عشر خناجر	قال أخرج شاة ولا تشاجر	الخناجر النوق الغزار الدر واحدها خنجر وخنجور
قال فإن سبح الساعي بجميمه	قال يا بشرى له يوم قيامته	الساعي جابي الصدقة والجميمة خيار المال
قال أيستحق حملة الأوزار سهمًا	قال نعم إذا كانوا غزًّا	الأوزار السلاح وغزى جمع غازٍ
قال أيجوز للحاج أن يعتمر	قال لا ولا أن يختمر	الاعتمار لبس العمارة وهي العمامة والاختمار لبس الخمار الحاج واحد وجمع
قال فهل له أن يقتل الشجاع	قال نعم كما تقتل السباع	الشجاع الحية
قال فإن قتل زمارة في الحرم	قال عليه بدنة من النعم	الزمارة النعامة واسم صوتها الزمار
قال فإن رمى ساق حر فجدله	قال يخرج شاة بدله	ساق حر ذكر القماري

قال فإن قبّل أمّ عوف بعد الإحرام	قال يتصدق بقبضة من طعام	أم عوف الجرادة
قال أيجب على الحاج استصحاب القارب	قال نعم ليسوقهم إلى المشارب	القارب طالب الماء بالليل [illegible]
قال ما تقول في الحرام بعد السبت	قال قد حلّ في ذلك الوقت	الحرام المحرم والسبت حلق الرأس [illegible]
قال ما تقول في بيع الكميت	قال حرام كبيع الميت	الكميت الخمرة
قال أيجوز بيع الخلّ بلحم الجمل	قال لا ولا بلحم الحمل	الخل ابن المخاض ولا يجوز بيع اللحم [illegible]
قال أيحلّ بيع الهديّة	قال لا ولا بيع السبيّة	الهدية بالتشديد ما يهدى للكعبة [illegible]
قال ما تقول في بيع العقيقة	قال محظور على الحقيقة	العقيقة ما ينزع عن المولود في اليوم السابع [illegible]
قال أيجوز بيع الداعي على الراعي	قال لا ولا على الساعي	الداعي بقية اللبن في الضرع و [illegible]
قال أيباع الصقر بالتمر	قال لا وما لك والأمر	الصقر الدبس
قال أيشتري المسلم سلب المسلمات	قال نعم ويبيت عنده إذا مات	السلب لحاء الشجر وهو أيضا خوص [illegible]
قال فهل يجوز أن يباع السافع	قال ما الجواز من دافع	السافع الشاة التي معها [illegible]
قال أيباع الإبريق على بني الأصفر	قال يكره كبيع المغفر	الإبريق السيف الصقيل الكثير [illegible]
قال أيجوز أن يبيع الرجل صيفيّه	قال لا ولكن ليبع صيفيّته	الصيفي الولد على الكبر [illegible]
قال فإن اشترى عبدا فبان ذا أمّ	قال ما في يده جناح	الأم مجتمع الدماغ
قال أتثبت الشفعة للشريك في الصحراء	قال لا ولا للشريك في الصفراء	[illegible]

قال أفضها قبل بانت بليلة شيباً ومنه قول الشاعر

بنوها ولم أطيب بحيث رب منع الذمن اعطاء

يبتن ذرعها وبانت تمجعي في بصيرة وليلة شيبا

والبصيرة في هذا البيت جمع بصيرة وهي القطعة من الدم والرد على الحافرة بمعنى الرجع

في الطريق الأول وكني به عن صلتهما وردهما الى اهلها

فقال له السائل لله درك من بحر لا ينضبه الماتح وحبر لا يبلغ مدحه المادح

ثم أطرق اطراق الحيي وارمّ ارمام العيي فقال له أبو زيد يا فتى فإلى متى وإلى متى فقال

له انه لم يبق في كنانتي مرماة ولا بعد اليوم مماراة فبالله أي ابن أم أنت فما الحسن

ما أنت فأنشد بلسان ذلق وصوت صهصلق

أنا في العالم مثله ولأهل العلم قبله

عزني كل يوم سبّني تغربني ورحله

والغريب الدار لو حل بطوبى لم تطب له

ثم قال اللهم كما جعلتنا ممن هدى وهدي فاجعلهم ممن يهتدي ويهدي

فأفاق لنبه القوم ذو دوادمع فئة وسألوه أن يزورهم الفئة بعد الفئة

فنهض بسنة من جوده زجي لأمه ولد دفال الحرث بن همام فاعتنقته وقلت

عهدي بكتفيها أن ذرفت فيهما وظل هنيهة يجول ثم أنشأ يقول

لبستُ لكل زمانٍ بزّا ولابستُ صرفيه نعمى وبوسا

وعاشرتُ كل جليسٍ بما يلائمه لأروق الجليسا

فعند الرواة أدير الكلام وبين السقاة أدير الكؤوسا

وطورًا بوعظي أسيل الدموع وطورًا بلهوي أسر النفوسا

وأصبي السامع إما نطقت بيانًا أقود الحرون الشموسا

وإن شئت أرعفت كفي اليراع فساقط درا يحلي الطروسا

وكم مشكلات حكين السها خفاء فصرن بكشفي شموسا

وكم ملح لي خلبن العقول أثرن في كل قلب رسيسا

وعذراء فهت بها فانثنى عليها لسانا طليقا حبيسا

على أنني من زماني خصصت بكيد ولا كيد فرعون موسى

يشعر لي كل يوم وغى أطار لظاها وأذكى وطيسا

ويغري الخطوب بي تذيب القوى وتشيب الرؤوسا

مع عصبة من مقابس فلما قضينا الصلوة وأزمعنا الانفلات برز شيخ بادي اللقوة بالي
الكسوة والقوة فقال عزمت على من خلق من طينة الحرية وسوّغ درّ العصبية إلا ما تكلّف
لي لبثة واستمع مني نفثة ثم له الخيار من بعد وبيده البذل والرد فعقد له القوم
الحبى وركدوا له ركود الربى فلما آنس حسن إنصاتهم ووزانة حصاتهم قال يا أولي الألباب
الراجحة والبصائر الناقدة أما يغنيكم عن الخبر العيان وينبيكم عن النار الدخان شيب
لائح ووهن فادح وداء واضح والباطن فاضح ولقد كنت والله ممن ملك ومال وولي
وآل ورفد ونال ووصل وصال فلم تزل الحوائج تسحت والنوائب تنتحي حتى الوكر
قفر والكف صفر والنعماء ضرّ والعيش مرّ والصبية يتضاغون من الطوى ويتمنون
مصاصة النوى ولم أقم هذا المقام الشائن وأكشف لكم الدفائن إلا بعد ما شقيت ولقيت
ما لقيت فياليتني لم أكن بقيت ثم تأوه تأوه الأسيف وأنشد بصوت ضعيف

أشكو إلى الرحمن سبحانه تقلب الدهر وعدوانه
وحادثات فرعت مروتي وقوضت مجدي وبنيانه
واهتصرت عودي وأذبلت من بعد نضار الأخضر أغصانه
وأمحلت ربعي حتى جلت من ربعي المحل جرذانه
وغادرتني حائرا بائرا أكابد الفقر وغثيانه

من بعد ما كنت اخا ثروة يسحب في نعمته اردانه

تغبط العافون اوراقه وتحمد السارون نيرانه

فاصبح اليوم كمن لم يكن اعانه الدهر لدى عيانه

وازور من كان له زائرا وعاف عافي العرف عرفانه

فهل فتى يجبر ما نابني من صدع شيخ دهره خانه

فيفرج الهم الذي همه ويصلح الشان الذي شانه

قال الراوي فحسبت الجماعة ان تستشبته تستبحث خباه وتستنفض حقيبته فقالت له قد عرفنا قدر زينك ورأينا در مزنك فعرفنا دوحة شعبك واخبر لنا عن نسبك فاعرض اعراض من مني بالاعنات او بشر بالبنات وجعل يلعن الضرورات ويتافف من بعض المروات ثم انشد بلفظ صادع وجرس خادع

لعمرك ما كل فرع يدل جناه على اصله

فكل ما حلا اذ جني ثوى به ولا تسال الشهد عن نحله

وميز اذا ما اعتصرت الكروم سلافة عصرك من خله

سيغلى ويرخص عن خبرة ويشرى كلا بامثاله

فيعار على الفطن اللوذعي دخول الثنية في عقله

قال فازدهى القوم بحكايته ودهايته واختلبهم حسن أدائه مع دائه حتى جعلوا
له حبا بالخبز وحفا بالنثر وقالوا له يا هذا انك جثمت على ركبة بكية
وتعرضت لحلبة خلية فخذ هذه الصبابة وهبها لا خطا ولا اصابة فنزّل

قله منزلة الكثر ووصل قوله بالتشكر ثم ولى يجر شقه وينهب باخمص طرقه
قال المخبر بهذه الحكاية فتوسمت انه مخيل الحلية متصنع في مشيته فنهضت انهج
منهاجه واقفو ادراجه وهو يلحظني شزرا ويوسعني هجرا حتى اذا خلا الطريق وامكن

ليجتنبني نظر الي نظر من هش وبش وما جفن بعد ما غش وقال اني لاخالك اخا
غربة ورائد نجعة فهل لك في رفيق يرفق بك ويرفق ويرق عليك وينفق فقلت
له لو اتاني هذا الرفيق لواتاني التوفيق فقال فمن الي فقد وجدت فانبسط واستكرمت
فارتبط ثم ضحك مليا وتمشى الي بثه سويا فاذا هو شيخنا السروجي لا قلبة في
جسمه ولا شبهة في وسمه ففرحت بلقيته وكذبت لقوته وهممت بملاحاته على
على سوء مقامه ففغر فاه وانشد قبل ان الحاه

ظهرت برث لكيما يقال فقير يزجي الزمان المزجى
واظهرت للناس اني قد فلجت فكم نال قلبي به ما رجى
ولولا الرثاثة لم يرث لي ولولا الفلاج لما قلت فلجا

ثم قال انه لم يبق بهذه الارض مرتع ولا في اهلها مطمع فان كنت الرفيق فالطريق الطريق
فبرزنا منها متجردين ورافقته عامين اجردين وكنت على ان اصحبه ما عشت فابى ربي

المقامة الرابعة والثلثون

حكى الحرث بن همام قال لما جبت البيد الى زبيد صحبني غلام قد ربيته
الى ان بلغ اشده وثقفته حتى اكمل رشده وكان ابن جلا في خبره بوفاقي

فلم يكن يخطئ مرامي ولا يخطي في المرامي لاجرم انه نفق بالناظر بصري وولي خلصته خدري وسفر بي النوى بالرأي المبيد حين ثمتنا بزبيد فلما ثاب نعامه وتمكنت ثامنة بقيت عاما لا اسيغ طعاما ولا اريغ غلاما حتى تجاني ثوائب الوحدة ومتاعب القومة والقعدة الى ان اعتاض عن الدر الخرز وان اتمادى من عوز لا ادري فقصدت من سيع العبيد بسوق زبيد وقلت اريد عبدا يعجب اذا قلب ويحمد اذا جرب ولكن من خرجه الكيس واخرجه الى السوق الافلاس فاحضر كل منهم مطلبي ووثب يبذل التخصيل عن كثب ثم دارت الامثلة دورها وتقلبت كورها وحورها وما تحرر من وعودهم وعد ولا نجح لها وعد فلما رايت النخاسين ناشبين او متناشبين علمت ان ليس كل من خلق يفري وان لن يجلب جلبي مثل طرفي فرفضت مذهب التفويض وبرزت الى السوق بالصفر والبيض فاني لاستعرض الغلمان واستعرف الاثمان اذ عارضني رجل قد اختطم بلثام وقبض على زند غلام وقال

اتشتري مني غلاما صنعا ... في خلقه وخلقه قد برعا

بكل ما تبغيه منه مضطلعا ... ينبيك ان قال وان قلت وعى

وان تصبك عثرة يقل لعا ... وان تسمه البغي في النار سعى

وان تصاحبه ولو يوما رعى ... وان تقنعه بظلف قنعا

وهو على الكيس الذي قد جمعا ... ما فاه قطّ كاذباً ولا ادّعى

ولا أجاب مطمعاً حين دعا ... ولا استجاز بيت شرٍّ لو دعا

وهو لما أبدع فيما اصطنعا ... واقف في النظم وفي النثر معا

والله لولا أن ضنك عيش صدعا ... وصبية أضحوا عراة جوّعا

ما بعته بملك كسرى أجمعا

قال فلما تأملت خلقه القويم وحسنه الصميم خلته من ولدان جنة النعيم وقلت ما هذا بشراً إن هذا إلا ملك كريم ثم استنطقته عن اسمه لا لرغبة في علمه بل لأنظر أين فصاحته من صباحته وكيف لهجته من بهجته فلم ينطق بحلوة ولا مرّة ولا فاه فوه ابن أمة ولا حرّة فضربت عنه صفحاً وقلت قبحاً للعبد وشقحاً فغار من الضحك وأنجد ثم انفض رأسه إليّ وأنشد

يا من تلبّس غبّه إذ لم أبح باسمي له ما هكذا من ينصف

إن لم يرضك إلا دمه وأصح له أنا يوسف أنا يوسف

قد كشفت لك الغطا فإن تكن فطناً عرفت فما إخالك تعرف

قال فراعني شعره وأدهشني لبّ سحره حتى شدهت عن التحقيق ونسيت ...

... تقى ولم يكن في همّي أن أسأله متى ولا فيمه ... تطلّعاً إلى الثمن ودفعه

تخطر لي بباب زكل مرخص غال فلما اتفقت الصفقة وحقت الفرقة همت عينا
الغلام ولا همول دمع الغمام ثم اقبل على صاحبه وقال

لحاك الله هل مثلي يباع لكيما تشبع الكرش الجياع
وهل في شرعة الاسلام اني اكلف خطة لا تستطاع
وان ابلى بروع بعد روع ومثلي حين يبلى لا يراع
اما جربتني فخبرت مني نصائح لم يسارزها خداع
وكم ارصدتني شركا لصيد فعدت وفي حبائلي السباع
ونطت بي المصاعب فاستقادت مطاوعة ودان بها امتناع
واي كريهة لم ابل فيها وغنم لم يكن لي فيه باع
وما ابدت لي الايام جرما فيكشف في مصارمتي القناع
ولم تعثر بحمد الله مني على عيب يكتم او يذاع
فانى ساغ عندك نبذ عهدي كما نبذت براثنها الضباع
ولو سمحت قروفك بامتهاني وان اشرى كما يشرى المتاع
وهلا صنته عنه صوني حرمتك يوم جد بنا الوداع
وقلت لمن يساوم في هذا سكاب فلا يعار ولا يباع

فما أداؤه إن ذا الطرف لبن طاع علق فيما ملك الطباء

على أني شأنه عندي أضاعوني وأي فتى أضاعوا

فلما فهم الشيخ أبياته وعقل ما عناه تنفس الصعداء وبكى حتى أبكى لمعدائه فقال
لي إن أجل هذا الغلام محل ولدي ولا أميزه على أفلاذ كبدي ولولا أخاف مرازي ويخبو مصباحي لما
درج عن عشي إلى أن يشبع وقد نغشى ابيت ما ملت به من لوعة البين والهوم من هبوب البين وسأل الله
في سلبه قلبه وتبريحه كربه بأن تعاهدني على إلا قالة فيه متى استقلت وأن لا تستقلني إذا
ثقلت فمي الأمان المنبق أن المدونة عن العقاب من أقال نادما بيعته قال الله عنه قال
الحرث بن همام فوعدته وعد البررة الحياء وفي القلب استنا فاستلني حينئذ الغلام اليه
وقبل ما بين عينيه والدمع يفيض من جفنيه

خفض فديتك العش ما لاقى — من يوحا الوجد والاشتياق

فما تطول مدة افتراق — ولا تبني كأبيب التلاقي

بحسن عون القادر الخلاق

ثم قال استودعك من هو نعم المولى وثمر ذيله وولى فلبث الغلام في زفير
وعويل يتبع ما يقطع مدى مثل قلة الإشفاق وكفكف دمعه المهراق قال تذكرت
نمز عولت وعلى ماذا أعولت قلت ذكر فراق مولاك فقال إن الذي أبكاك قضا آنك

حتى جرت من همتنا فارميت نفحة بشير على اد يستوقف المجتاز

ولو كان على اوفاز فلم استطع بعد تنيه ولا خطت قدمي لبعد نبوه فعجت اليه لا نسك

بحر جوهره وانظر كيف ثمره من زهره فاذا اهله اولاد والعاج اليهم مفاد

وبيان في فكاهة اطرب من الاغاريد واطيب من حلب العناقيد اذا اجنف بنا

ذو طمرين فلما كاد يبام العرين فحا بلسان طلق وابان بانه منطيق ثم اجتبى جنوة

المسدين وقال اجعلنا اللهم من المستعدين فازدلف القوم لطمريه وتسوا ان المرء باصغريه

واخذوا يتداعون فصل الخطاب ويعدون عوده من الاحطاب ومولا ينبس بكلمة

ولا يبين عن عيه الى ان نفد الحمد وختم سابليهم وانجمهم فحينئذ تنحنح دفاتهم

واستنال كتابهم قال يا قوم لو علمتم ان وراء الفدام صفو المدام لما احتقرتم ذا الاطلاق

وقلتم ماله من خلاق ثم فجر من ينابيع الادب والنكت النخب ما خلب بديع العجب

واستوجب ان يكتب بذوب الذهب فلما خاب كل خلب وقلب [illegible] كل قلب تحلل بحل

وما هب ليذهب حتى علقت الجماعة بذيله وعاقت مسرب سبيله وقالت له قد ادبتنا

وتم قد حل فخبرنا عن فضلك ومحلك فصمت صموت [illegible] الفحم ثم اعول حتى رحم واو ليب

فلما رأيت ثوب ابي زيد وروبه واثوابه المالوف وصوغه ما ملت الشيخ

[illegible] شيئا [illegible] كدرايه فاذا هو اياه فكنت [illegible] بذلك [illegible] الخبر [illegible]

وانه لكن محتاج حتى اذا اترع من غواله وقد عرف عثوري على حاله رمقني بعين مفاتك
ثم طفق ينشد بلسان متباك

استغفر الله واعنو له من فرطات انفلتت ظهريه

يا قوم كم من عاتق عانس ممدوحة الاوصاف في الاندية

قتلتها لا اتقي وارثا يطلب مني قودا او دية

وكلما استنشيت في قتلها ما حلت بالريب على الاقضية

ولم تزل نفسي في غيها وقتلها الابكار مستشرية

حتى نهاني الشيب لما بدا في مفرقي عن تلكم المعصية

فلم ارق مذ شاب فودي دما من عاتق يوما ولا مصبية

وها انا اليوم على ما ترى مني ومن حرفتي المكدية

ارب بكرا طال تعنيسها وحجبها جنبي عن الاهوية

وهي على التعنيس مخطوبة كخطبة الغانية المعجبة

ولست يمكنني تجهيزها على الرضا بالدون الامية

ولم ازل اتوكل على دبهم دا الارض قفر والسما مصحية

فهل معين لي على نقلها مصحوبة بالفتنة الملهبة

فيغسل الهم بصابونه والقلب من افكاره المحزنة
ويقتني من شا الذي يصبوغ ربّاه مع الاذعنة

قال فلم يبق في الجماعة الا من ندب له كفّه وانباع اليه عرفه فلما بجّل بغنيته وكملت
بنيته اخذ يثني عليهم بصالح ويتمسّح عن ساق وساعد فتبعته لاشعر في ريبة خبره
ومن قبل في جدثان امره فكان وشك فابى مثل له سرابي فازدلف مني ووافقه عيني

قتل مثلي يا صاح مزج المدام لبن قتلي بالهدم او حسام
والتي عنيت هي البكر بنت الكرم لا البكر من بنات الكرام
ولتحميرها الى الكاس والطاس فيأبى الذي نرى ومقامي
فتفهم ما قلته وتحكّم في التغابي ان شئت او في الملام

ثم قال انا عن بلد وانت عن بلد ونبتنا ابو زيد ... ثم ودعني وانطلق وزودني

المقامة الحادية والثلاثون

اخبر الحرث بن همام قال لحبت بالرملة مطية البين وجفني ملي من العين
فجعلت اجتبر اي مذال القنب بها عصاي ان نورد موارد المرج والتصيد شوارد النجم
فرعتني بها منظر ولا مسمع ولا خلا مني ما عبد ولا مرتع حتى لو لم ترفيه ...

ولأي لثوائي بها مرعب عمدت لاتفاق المذهب في اتباع الأهب فلما أكملت الإعداد
ونهبنا الطعن منها أو كاد رأيت تسعة رهط قد سبأوا قهوة وارتبأوا ربوة
ودماثتهم قيد الإلحاظ وفكاهتهم جلوة الألفاظ فجئتهم طلبا لمنادمتهم
لا للمدامة بهم وشغفا بممازجتهم لا بزجاجتهم فلما انتظمت عاشرهم واصحبت
معاشرهم ألفيتهم أبناء علات وقدائف فلوات إلا أن لحمة الأدب قد ألفت شملهم
ألفة النسب وساوت بينهم في الرتب حتى لاحوا مثل كواكب الجوزاء أو كالجملة
المتناسبة الأجزاء فاستحببت الاهتداء بهديهم وأحمدت طالع الذي طلعني عليهم
وطفقت أفيض بهم في قدح مع قدحهم وأستشفي براحهم لا براحهم حتى إذا ما يجوز رهاؤنه
حبالي بالمقايضة لقويت ذ عنيت به الكرامات ماثل النوم فات
فبينا نحن نجلو أنسها ذا القمر ونجني الشوك والثمر ونتناجى بنشر القشيب في لرث
ونستثمر السمين والغث طلع علينا شيخ مذهب جسره وسيره وبعج خيره وسيره فمثل
مثول من سمع ونصر ولفظ ما نثر من نفث الأكابر وحمحم البابر فلما رأى الحبال
الغرائر وأكدى المانح والمائح جمع ذباله وولا فذ له وقال ما كل سود تمرة ولا كل صهبا
خمرة فاغتنمناه اعتلاق الجسر بالإعواد وضربنا دون وجهته بالأسداد وقلنا له
ذا شوق أن تحاضر وإلا فالقصاص القصاص فلا تطمع في أن تخرج ونهز الغنم ونشرح

فلوى عِنانه راجعًا ثم جثم مكانه رابضًا وقال أمّا إذ استثرتم بالبحث وفتا حكمكم
حسنٌ في الحرث اعلموا يا ذوي النبابل الأدبية والشمول الذهبية أن وضع الأحاجي
لامتحان الألمعية واستخراج الخبيئة الخفية وشرطها أن تكون ذات مماثلة حقيقية

وألفاظ معنوية ولطيفة أدبية فمتى نافت هذا النمط ضاهت السقط ولم تدخل
السفط وأراكم حافظتم على هذه الحدود ولا ميزتم بين المقبول والمردود
فقلنا له صدقت فكل لنا من لبابك وأفض علينا من عبابك فقال لنفعل لما أحببنا :

المبصرين وظنوا بي الظنون ثم قابل باكورة القوم وقال

يا من سما بذكاء يبذ في الفضل وري الزناد
ماذا يماثل قولي جفوع أمد بزاد

ثم ضحك إلى الثاني وأنشد

يا ذا الذي فاق فضلا ولم يدنسه شين
ما مثل قول المحاجي ضمن سمابه عين

ثم لحظ الثالث وأنشأ يقول

يا من نتائج فكره مثل النقود الجائزة
ما مثل قولك للذي حاجيته صادف خابزه

ثم التفت إلى الرابع وقال

أيا مستنبط الغامض من لغز وإضمار
ألا اكشف لي ما مثل تناول ألف دينار

ثم رنا إلى الخامس بعينه وأنشد

يا أيهذا الألمعي أخو الذكاء المنجلي
ما مثل قمر طلبه بين هدبين وعجل

ثمّ تنفّس الثامن وقال

يا من تقصّر عن مداه خطا مجاريه وتضعف
ما مثل قولك للذي أضحى بحاجته اكففا كفف

ثمّ خلج التاسع بحاجبه وقال

يا من له فطنة تجنّ ورتبة في الذكاء جلّت
بيّن فما زلت ذا بيان ما مثل قولي بشقيق قلت

ثمّ استنصت لنا من وانشد

يا من حدائق فكره مطلولة الأزهار غضّه
ما مثل قولك للمحاجي ذي الحجى ما النار فضّه

ثمّ حدّج التاسع ببصره وقال

يا من يشار إليه في القلب الذكيّ وفي البراعة
أوضح لنا ما مثل قولك للمحاجي ذي جماعة

قال الراوي فلمّا انتهى إليّ هزّ منكبي وقال

يا من له النكت التي تجني خصوم بها وتبكت
بيّن المبين فقل لنا ما مثل قولي جاي اسكت

ثم قال قد امهلتكم حولا وان شئتم ان اعللكم عللتكم فقالوا انا
لحب الغبل الى ان نستفيد العبل فقال سنشتكم من بيننا اثر على بديمه ولا من
سنة زادبه ثم كرّ على الاول وقال

يا من اذا اشكل المعمى حلّه فكاه الدقيقه
ان قال يوما لك المحاجي خذ تلك ما مثله حقيقه

ثم ثنى جيده الى الثاني وقال

يا من بذ بيانه عن فضله مجليا
ماذا يقال لقولهم جمار رجح جلبا

ثم اومى الى الثالث بلحظه وقال

من غدا في فضله وذكائه كالاصمعي
ما مثل قولك للذي جاك انفق تقمع   حاجب

ثم حملق الى الرابع وقال

يا من اذا ما عن بصر دجا ابان ظلامه
ماذا يقال في قول استشن نجح مدامه

ثم اومض الى الخامس وقال

يا من تنزه فهمه عن ان يروي او يشككا

ما مثل قولك للذي اضحى يحاجي غض هلكا

ثم اقبل قبل السادس وانشا يقول

يا ذا الفطنة التي بان فيها كماله

شان بالليل مدة اي شيء مثاله

ثم نحا بصره الى السابع وقال

يا من تحلى بفهم اقام في الناس سوقه

لنا بان فيه ما مثل الجب فوقه

ثم قصد قصد الثامن وانشد

يا من تبوأ ذروة في الفضل فافترع ذروه

ما مثل قولك اعط ابن سقا بلوح بغير عروه

ثم ابتسم الى التاسع وقال

يا من حوى حسن الدراية والبيان بغير شك

ما مثل قولك للمحاجي ذي الذكاء الثور ملك

ثم قبض بجمعه يدي وقال

يا من سما بثقوب فطنته الى المشكلات ونور كوكبه
ماذا امتثال الصنبر جحفله بنية تبيانا به يتربه

قال الحرث بن همام فلما اطربنا بما سمعناه وطالبناه بكشف معناه قلنا له لسنا من خيل هذا الميدان ولا لنا بحل هذه العقد يدان فان ابنت مننت وان كتمت غممت فطفق يشاور نفسه ويقلب فيه حدسه حتى هان بذل ما عوّل عليه فاقبل بجملته على الجماعة وقال سأعلمكم ما لم تكونوا تعلمون ولا ظننتم انكم تعلمون فاوكوا عليه الاوعية وروضوا به الاندية ثم اخذ في تفسير ما صاغه فاصغت اليه الاذهان واستفرغ معه الاردان حتى آضت الافهام انور من الشمس والاكمام كأن لم تغن بالامس ولما همّ بالمضي سئل عن المقر فتنفس كما تنفس الثكلان ثم انشا يقول

كل شعب لي شعب وبه ربعي رحب
غير اني بسروج مستهام القلب صب
هي ارضي البكر والجو الذي منه المهب
والى روضتها الغناء دون الروض اصبو
ما حلا لي بعدها الحلو ولا اعذوذب عذب

قال الراوي فقلت لاصحابي هذا ابو زيد السروجي الذي اذني ملحه الاجانب ثم اخذت

اصف لهم حسن توشيته وانقياد الكلام تحت نطقه فاذا ابو قد طمر ونأى بما فسر
فعجبنا مما صنع ولم ندر اين سكع وصقع

اما جوز اسد براد فمثله طوامير واما ظهر اسامة عين فمثله مطاعين
واما ساد وحابرة فمثله الفاصلة واما ناول الفد بنار فمثله هادية
واما اهمل حلية فمثله الغاشية واما اكفف اكفف فمثله مهمة
واما النقو افلت فمثله الاخطار واما ما الختا رفضه فمثله ابارقة
لان الرقة من اسماء الفضة وقد نطق به النبي صلى الله عليه وآله وسلم فقال في الرقة ربع
العشر واما ادن جماعة فمثله طائفة واما خالي اسكت فمثله خالصه لانك اذا
ناديت مضافا الى نفسك جاز لك حذف الياء واثباتها ساكنة ومتحركة وقد حذف ها هنا
حرف النداء كما حذفه في اكثر الاحاجي وصه بمعنى اسكت واما خذ لك فمثله هابل
واما حمار وحش زيننا فمثله فرازين لان الفرا حمار الوحش ومنه الخبر
كل الصيد في جوف الفرا واما قوله انفق نقع فمثله منتقم لان الامر
من مان يمون من ومضارع وقمت تقم واما ابتش نخ مدامة فمثله رح
لان الادم من اسماء ... بحذاج واما غط هلكي فمثله نهبه لان ...

هم الهلكى وفي القرآن وكنتم قوما بورا ⁂ وأما سائل بالبلد مدة فمثله ترجيب
وأما جنب وقد وقد فمثله مقلاع لأن الأمر من وقى يقي ق واللاع الجبان يقال
هاع لاع إذا كان جبانا جزوعا ⁂ وأما قوله أعط بريقا اللوح بغير عروة فمثله
أسكوب لأن الأسو العطاء والأمراش ومنه اشتقاق المواساة والكوب الإبريق
بغير عروة ⁂ وأما الثور ملكي فمثله الآلي لأن اللآى على وزن الفنا ثور الوحش
وأما صفير جحفلة فمثله مكاشفة لأن المكاء الصفير قال الله تعالى
وما كان صلوتهم عند البيت إلا مكاء وتصدية ⁂ والأصل في المكاء المد ولكنه
قصر في هذه الأحجية لحذف همزة القراءة في الأحجية وكلا الأمرين
من قصر الممدود وحذف همزة المهموز جائز

المقامة السابعة والثلاثون

حكى الحارث بن همام قال أصعدت إلى صعدة وأنا ذو شطاط يحكي
الصعدة واشتداد يبذ بنات صعدة فلما أبت نضرتها ورغبت حضرتها سألت
الرواة عن نيابها من السراة ومعادن الخيرات لأتخذه جذوة في الظلمات
وجنة في نوب الزمان فنعت لي واثنيا حي لباب خصيب الرباع مني سبب

والصباغ فلم ازل اتقرب اليه بالالمام واستفيد بالاجتماع حتى نزت بي سلاه

حوزته وعلمت زينته وكنت مع استبارة نهيه واستنشاق زنده اشهد مشاجر الخصوم

وانتصف بين المعصوم منهم والموصوم فبينا القاضي جالس للاجلال في يوم المحتفل

والاحتفال اذ دخل شيخ بالي الرياش بادي الارتعاش فنبه الجحفل بصبر نفاد ثم زعم

ان له خصما عتيد منتاد فلم يكن الا كفوت شرارة او وحي اشارة حتى احضر غلام كانه

ابن عامه فقال للشيخ ايد الله القاضي وعصمه من تعاطي ان ابني هذا لم ادخر

واستشف الصدى بحمل الاوصاف للانصاف ورتع اخلاف الخلاف ان اقمت انجم

وان اعربت اعجم وان اذكيت اخمد ومتى شوبت ... بي كفلته مذ دب الى

ان شب وكنت له الصفي من ربي ورب فاكبر الذنب ما شكا اليه واطرفه من

ثم قال اشهد ان لعنته وكل اجل لنكبتي ولرب عشم اقر للعين فان الغلام

وقد اعتصه هذا الكلام وانذر بنصب قضاة للاجتذال ومتكتم عنه الفصال لفصال

ثم ما ادعى قط الا امنت ولا ادعى لا امنت ولا لبى الا وحرمت ولا اوري

الا واضرمت ببدايته لمن يبغي بنص الانوف ويطلب الصبر ان من الموقف فقال

له القاضي ويم اعتبك وانبحر طاعنك فان انه مذ نسم من لما ... ومنى بالاسى

نسومني ... لمظا بالسوال واستمطر سحب النوال لتنفق سنره

وإن حللت كالبرق عن ربع ضمنت به   إلى الجناب الذي يهمي به المطر

واستنزل الريّ من درّ السحاب فإن   بلّت يداك به فليهنك الظفر

وإن رددت فما في الردّ منقصة   عليك قد ردّ موسى قبل والخضر

فلما رأى القاضي ما في قول الفتى وفعله وتحلّيه بما ليس من أهله نظر إليه بعين غضبى وقال لنسيمنا مرة وفسيّبنا أخرى ألا تفقه ما يقول ويتلون كما يتلون الغول فقال للغلام والذي جعلك مفتاحا للخير وفتاحا بين الخلق لقد انتسبت مذ انتسبت وصدق ذهني مذ صدقت على أنه ابن اللبان لفتح والعطاء لمنح وهل يجي من متبرع بالأداء إذا استطعم يقول هنا وقال له القاضي مذ قطع الخواطر منهم صائب وما كل برق خالب فمن لبدو إذا ثمن ولا تشهد إلا بما علمت فلما تبين الشيخ أن القاضي قد غضب للكرام وأغاظه تحيفا جميع الأنام علم أنه سينصر كلمته ويظهر أكرومته فما كذب أن نصب شبكته وشوى في الحريق سمكته وأنشد يقول

يا أيها القاضي الذي علمه   وحلمه أرجح من رضوى

قد ادعى هذا على جهله   أن ليس في الدنيا أخو جدوى

وما درى أنك من معشر   عطاؤهم كالمنّ والسلوى

فجد بما يثنيه مستخزيا   بما افترى من كذب الدعوى

وشيء جدا لأن أثني بما ... أوليت من جدوى ومن عدوى

قال فهش القاضي لقوله واجزل له من صوبه ثم لفت وجهه الى الغلام وفوّق له سهم
الملام وقال له أرأيت نقض رحمك خطأ وهب فلا تعجل بعدما بدر ولا نحت عوداً من قبل
عجم وإياك وإياك عن مطاوعة أبيك فإنك إن عدت لمعقّة ما تستحقه فسقط
الفتى في يده ولاذ بجفوة الدهر ثم نهض يجمد ويتبعه الشيخ ينشد

من ضامه أو شاره دهره ... فليقصد القاضي في صعده
سماحه أزرى من قبله ... وعدله أتعب من بعده

قال الراوي فحرت بين تعريف الشيخ وتنكيره الى ان اعرورق المسير فأجنبت
النفس عند ذلك باتباعه ولو لي باعه لعلي اظهر على سرائره وعرفت شجرة نجاره
فبذلت العلو وانصلتت حين انصلتوا ولم يزالوا يخضوا واعتقب ويبعدوا واقترب
الى ان تراءى انشماص وحق الفتيان وعلى الحصان فابتدرا لاهتبال ووقعا ادراعان وقال
كاذب اخاه فلا عاش قال فعرفت حينئذ انه السروجي بلا محالة ولا حول حالة
فانزعت اليه لاصافحه واستعرف سناجه وبادرت فقال لي دونك ابن اخيك
البر ولكني وسر فلم يبعد الفتى ان افترا ثم فرك كما فر فعدت
وقد شيبتني عنهما ولكن بينهما ٥

والنجح في الناس محجوب خلائقه وإنما مد الكف ما ينفك ممنونا
وللتحجج على أنوالهم علل لو يعتمه أبداً ذماً وتكبيبا
فجد بما جمعت كفاك من نشب حتى ترى مجتدي جدواك ممنونا
وخذ نصيبك منه قبل رائعة من الزمان تريك العود عرجونا
فالدهر أنكد من أن تستمر به حال تكرهت تلك الحال أم شينا

وقال له الوالي تالله لقد أحسنت فأي ولد الرجال أنت فنظر إليه عن عرض ثم أنشد وهو معرض

لا تسأل المرء من أبوه ورز خلاله ثم صله أو فاصرم
فما يشين السلاف حين حلا مذاقها كونها ابنة الحصرم

قال فعقد له الوالي لبيانه الفائق حتى أحله مقعد الخائن ثم فرض له من سيوب نيله ما آذن بطول ذيله وقصر ليله فنهض عنه بذيل ملآن وقلب جذلان وتبعته حاذيا حذوه وقافيا خطوه حتى إذا خرج من بابه وفصل عن غابه قلت له هنيت بما أوتيت ومليت بما أوليت فأسفر وجهه وتلألأ وولى يشكر الله تعالى ثم خطر اختيالا وأنشد ارتجالا

من يكن نال بالحماقة حظا أو سما قدره لطيب الأصول
فبفضلي انتفعت لا بفضولي وبقولي ارتفعت لا بقبولي

ثم قال نعم السناء لمن ذب وطوبى لمن جد فيه ودأب

ثم ودعني وذهب وأودعني اللهب

المقامة التاسعة والثلاثون

حدث الحارث بن همام قال لهجت مذ اخضر إزاري وبقل عذاري بأن أجوب

البراري على ظهور المهاري أنجد طورا وأسلك تارة غورا حتى قلبت العالم والجاهل

وجبت المنازل والمناهل وأدميت السنابك والمناسم وأنضيت السوابق

إليك وأبى لك أن تلوي عذارك عمن ازدارك أو تقبض راحتك عمن امتاحك
وامتار سماحك فوالله ما مجد من جمد ولا رشد من حشد بل اللبيب من إذا وجد جاد
وإن بدأ بعائدة عاد والكريم من إذا استوهب ذهبا لم يهب من نهب ثم أمسك من قبل كل
غرسه ويرصد مطيبة نفسه وأحب الوالي أن يعلم من نطفته ثم لام لفرحته مدد
فاصرف يروي في استيراء زنده واستشفاف فرنده والتبس على أبي زيد بن مضمضة
وسبب إذ جاء صلته فتوغر غضبا وأنشد مقتضبا

لا تحقرن أبيت اللعن ذا أدب لأن بدا خلق السربال مسكينا
ولا تضع لأخي التأميل حرمته أكان ذا لبس أو كان سكينا
وانح بفكرك من وافاك مختبطا وانعش بعونك من ألفيت منكونا
خير الغنى مال أنال به ذكرا تناقله الركبان أو صينا
وما على المشتري حمدا بموهبة غبن ولو كان ما أعطاه ياقوتا
لولا المروة ضاق العذر عن فطن إذا اشرأب إلى ما جاوز القوتا
لكنه لابتناء المجد جرده من جب السماح ثنى نحو الغنى ليتا
وما تسوء نشر الشكر ذو كرم إلا وازرى بنشر المسك مفتوتا
والحمد والبخل لم يقض اجتماعهما حتى لقد خيل ذا ضبا وذا حوتا

فلما مللت الإصحار، وقد سنح لي إرب بصحار، ملت إلى اختيار البحار، واختيار
الفلك السيار، فنقلت إليه أساودي، واستصحبت زادي ومزاودي، ثم ركبت فيه
ركوب جاذ باذ، وعاذر عاذر، فلما شرعنا في القلعة، ورفعنا الشراع للسرعة،
سمعنا من شاطئ المرسى، حين دجا الليل وأرسى، هاتفاً يقول: يا أهل ذا الفلك
القويم، المزجى في البحر العظيم، بتقدير العزيز العليم، هل أدلكم على تجارة تنجيكم
من عذاب أليم، فقلنا له: اقبس نارك أيها الدليل، وانشد نشد الخليل
الخليل، فقال: تستصحبون ابن سبيل، زاده في زبيل، وظله [illegible] وما يبغي سوى
مقيل، فأجمعنا على أن نخرج إليه، وأن نحمل بالماعون عليه، فلما رقي
الفلك قال: أعوذ بمالك الملك، من مسالك أهل الهلك، ثم قال: إنا روينا في الأخبار المنقولة
عن الأحبار، أن الله تعالى ما أخذ على الجهال أن يتعلموا، حتى أخذ على العلماء
أن يعلموا، وإن معي لعوذة عن الأنبياء مأخوذة، وعندي لكم نصيحة برهانها
صحيحة، وما وسعني الكتمان، ولا من شيمتي الحرمان، فتدبروا القول وتفهموه،
واعملوا بما تعلمون وعلموه، ثم صاح صيحة المباهي، وقال: أتدرون ما
هي، هي والله حرز السفر، عند مسيرهم في البحر، والجنة من الغم إذا أحاط موج اليم،
وبها استعصم نوح يوم الطوفان، ونجا ومن معه من الحيوان، على ما صدع [illegible]

القرآن ثم وأربع أناصير لأما وزخارف جلالها وقال اركبوا فيها بسم الله مجراها
ومرساها ثابتة بنقش نقش المغربي أبو عبد الله المذكر من ل امانات

الغمة فلم يجيبوا النداء ولا فاهوا ببيضاء ولا سوداء فلما راينا هم ان الحاجب

وغيرهم خير لسباب سبقنا ناهب الوجوه وقبح اللكع ومن يرجوه فابتدرنا

خادمٌ قد علته كبرة وعرته عبرة وقال يا قوم لا توسعونا سبًّا ولا توجعونا

في حرثنا ماءً ونعا عن رحيب ساحة فقال له ابو زيد من جارنا

وانفث إن قدرت على النفث فإنك ستجد مني عرافا كافيا ووصافا

شافيا فقال اعلم أن رب هذا القصر هو قطب هذه البقعة وسادة هذه

الرقعة إلا أنه لم يخل من كمد لخلوه من ولد ولم يزل يستنكح المعاقر

ويتخير من المفارش النفائس إلى أن نعتت له عقيلة وآذنت قلته بنسيلة فنذرت

له النذور واحتسبت الأيام والشهور ولما حان النتاج وصيغ الطوق والتاج

عسر مخاض الوضع حتى خيف على الأصل والفرع ونحن فيما نحن بغير قرار ولا يطعم

النوم إلا غرارا ثم أجهش بالبكاء وعج وردد الاسترجاع وطول

فقال له أبو زيد اسكن يا هذا واستبشر وابشر بالفرج وبشر وعندي عزيمة

التي اشتهر نفعها في الخلق فبادرت غلمته إلى مولاهم مباشرين بانكشاف الهموم

فلم يكن إلا كلا ولا حتى برز من علم نزلنا إليه فلما دخلنا عليه ومثلنا بين يديه

قال لأبي زيد ليهنك ما لك إن صدق مقالك ولم يقل فاستحضر قلما

مبريا وزبدا طريا وزعفرانا قد ديف في ماء ورد نظيف فما إن رجع النفس

حتى حضر ما التمس فسجد أبو زيد وعفر وسبح واستغفر ثم أخذ القلم واجتنف

وكتب على الزبد بالمزعفر

أيها ذا الجنين إني نصيح لك والنصح من شروط الدين

أنتَ مُستعصِمٌ بكِنٍّ كنينٍ وقرارٍ من السكونِ مكينِ

ما تَرى فيه ما يروّعُ من إلفٍ مُداجٍ ولا عدوٍّ مُبينِ

فمتى ما برزتَ منه تحوّلتَ إلى منزلِ الأذى والهُونِ

وترى آيَ لكَ الشقاءَ الذي تلقى فتبكي له بدمعٍ هتونِ

فاستنمْ عيشكَ الرغيدَ وحاذرْ أن تبيعَ المحقوقَ بالمظنونِ

واحترسْ من مُخادعٍ لكَ يرقيكَ ليلقيكَ في العذابِ المهينِ

ولعَمري لقد نصحتُ ولكن كم نصيحٍ مشبَّهٍ بضنينِ

ثُمّ إنّه طمسَ المكتوبَ على غفلةٍ وتفلَ عليه مائةَ تفلةٍ وشدَّ الرقعةَ
في خرقةِ حريرٍ بعدما ضمّخها بعبيرٍ وأمرَ بتعليقها على فخذِ الماخضِ وأنْ
لا تعلقَ بها يدُ حائضٍ فلم يكُ إلّا كذواقِ شاربٍ أو فواقِ حالبٍ حتى انزلق
تمخّضَ الولدُ خصيبيّ الزندِ بقدرةِ الواحدِ الصمدِ فامتلأ القصرُ حبورًا
واستخفَّ عميدُهُ وعبيدُهُ سرورًا وأحاطتْ الجماعةُ بأبي زيدٍ تُثني عليه وتُقبّلُ
يديهِ ويتبرّكنَ بما بين طمريهِ حتى خُيّلَ لي أنّه القرنيُّ أُويسٌ أو الأسديُّ دُبيسٌ
ثُمّ انثالَ عليه من جوائزِ المجازاةِ وصلاتِ الصلاتِ ما فيّضَ يدَ الغنى
وبيّضَ وجهَ المنى ولم يزلْ ينتابُهُ الدخلُ حتى نبحَ الفحلُ لي أن غصَّ نجدٌ دمانٌ

وَتَسَنَّى لِلإمامِ الى عُمَانَ فاكتفى ابو زيدٍ بالبُلْغَةِ وتَأهَّبَ للرِّحلَةِ فلم يَسمَح الوالي

بِحَركَتِه بعد تجربة بَرَكتِهِ بل اَوعَزَ بِضَمِّهِ الى حاشيتِهِ وتَطْويقِهِ في خِزانَتِهِ

قال الحارث بن همام فلما رأيته قد مال إلى حيث يستمال لم أجب عنه بما يعنفه وهممت له بمفارقة فقولا لا لينه فقال إليك عني واسمع مني

لا تصبونّ إلى وطنٍ فيه تُضام وتُمتهن

وارحل عن الدار التي تُعلي الوهاد على القُنن

واهرب إلى كِنٍّ يقيك ولو أنه حِضنا حَضن

واربأ بنفسك أن يُقيم بحيث يغشاك الدرن

وجُبِ البلاد فأيها أرضاك فاختره وطن

ودع التذكر للمعاهد والحنين إلى السكن

واعلم بأن الحرّ في أوطانه يلقى الغبن

كالدرّ في الأصداف يُستزرى ويُبخس في الثمن

ثم قال حسبك ما سمعت وحبذا أنت لو اتبعت فأوضحت له معاذيري وقلت لكن عذيري فعذروا وعنه زودوا وحبّبني المزيد ثم شيعني تشييع الأقارب إلى أن ركبت في القارب فودعته وأنا أشكو الفراق وأودّه وأودّ لو ملك الحين وأمّه

المقامة الأربعون

اخبر الحرث بن همام قال ازمعت التبريز من تبريز حين نبت بالذليل والعزيز

وخلت من المجير والمجيز فبينا انا في اعداد الاهبة وارتياد الصحبة

لقيت ابا زيد السروجي ملتفا بكساء ومحتفا بنساء فسالته عن خطبه

والى اين يسرب مع سربه فاوما الى امراة منهن باهرة السفور ظاهرة النفور

وقال تزوجت هذه لتونسني في الغربة وترحض عني قشف العزبة فلقيت منها

عرق القربة منها ما يلقى من قرينة تمطلني بحقي وتكلفني فوق طوقي فانا منها نضو وجى وتحت حيف وشجى

وها نحن قد تساعينا الى حاكم ليضرب على يد الظالم فان انتظم بيننا الوفاق

والا فالطلاق والانطلاق قال فملت الى ان اخبر لمن الغلب وكيف يكون المنقلب

فجعلت شغلي دبر اذني وصحبتهما وان لم يكن لي عنى فلما حضر القاضي وكان ممن يرى

الامساك ويظن بنفاثة السواك جثا ابو زيد بين يديه وقال ايد الله القاضي

وحبب اليه التراضي ان مطيتي هذه ابية القياد كثيرة الشراد مع اني اطوع لها من

بنانها واحنى عليها من جنانها فقال لها القاضي ويحك اما علمت ان النشوز يغضب

الرب ويوجب الضرب فقالت انه ممن يدور خلف الدار وياخذ الجار بالجار

فقال له القاضي تبا لك اتبذر في السباخ وتستفرخ حيث لا افراخ اعزب عني

لا عز عنك ولا امن خوفك فقال ابو زيد انها ومرسل الرياح لاكذب من سجاح

فكره اللوذعي ثم اقبل عليهما بجد قد قطبه ومجن قد قلبه وقال الم يكفكما
التسافه في مجلس الحكم والاقدام على هذا الجرم حتى ترافعتما من فحش المقاذعة الى
خبث المخادعة وايم الله لقد اخطأت استكما الحفرة ولم تصب اسهمكما الثغرة
فان امير المؤمنين اعز الله بقاءه الذي نصبني لا قضي بين الخصماء لا لاقضي دين الغرماء
وحق نعمته التي اجلستني هذا المجلس وملكتني العقد والحل لئن لم تصحا لي جلية خطبكما
وخبيئة خبكما لانددن بكما في الامصار ولاجعلنكما عبرة لاولي الابصار فاطرق ابو
زيد اطراق الشجاع ثم قال ـــــــ له سماع سماع

انا السروجي وهذي عرسي	وليس كفو البدر غير الشمس
وما تنافى انسها وانسي	ولا تناءى ديرها عن قسي
ولا عدت سقياي ارض غرسي	لكننا منذ ليال خمس
نصبح في ثوب الطوى ونمسي	لا نعرف المضغ ولا التحسي
حتى كانا لخفوت النفس	اشباح موتى نشروا من رمس
فحين عز الصبر والتأسي	وشفنا الضر الاليم المس
قمنا لسعد الجد او للنحس	هذا المقام لاجتلاب فلس
والفقر يلجي الحر حين يرسي	الى التحلي في لباس اللبس

فهذا جالي وهذا دأبي   فانظر الى يومي وسل عن امسي

وامر بجبري ان تشا او حبسي   ففي يديك صحتي ونكسي

فقال له القاضي ليثبت انسك ولتطب نفسك فقد حق لك ان تخطبك وتوفر
عطيتك فثارت المراة عند ذلك واستطالت واشارت الى الحاضرين وقالت

يا اهل [illegible] لكم حاكمه اوفى على الحكام [illegible]

ما فيه من عيب سوى انه يمنعه [illegible] الندى صبرا

قصدته و[illegible] شيخ سعى حتى عودته ما زال يهزو [illegible]

[illegible] نال من جدواه تنبيها وتمييزا

وردن [illegible] في [illegible]

كانه [illegible]

[illegible] ان [illegible] غادرته [illegible]

فلما راى القاضي احتدا جنانهما وانصلات لسانهما علم انه قد مني منهما بالداء
العياء والداهية الدهياء وانه متى منح احدى الزوجين وصرف الآخر صفر
اليدين كان كمن قضى الدين بالدين او صلى المغرب ركعتين فطلسم وطرسم واحرنظم
وبرطم وهمهم وغمغم ثم التفت يمنة وشامة وتململ كآبة وندامة واخذ يذم

فقالت بل هو من طوق الحمامة وحنين النعامة أكذب من أبي ثمامة حين
مخرق باليمامة فزفر أبو زيد زفير الشواظ واستشاط استشاطة المغتاظ
وقال لها ويلك يا دفار يا فجار يا غصة البعل والجار أتعمدين في الخلوة

لتعذيبي وتبدين في الحفلة تكذيبي وقد علمت أني حين بنيت عليك ورنوت اليك
ألفيتك أقبح من قردة وأيبس من قدة وأخشن من ليفة وأنتن من جيفة
وأثقل من هيضة وأقذر من حيضة وأبرز من قشرة وأبرد من قرة وأحمق

زوجةٍ واوسع من دخله فقالت عوارك الزائد عارك على انه لو جليت شيرين بجمالها

وزبيدة بمالها وبلقيس بعرشها وبوران بفرشها والزبا بملكها ورابعة بنسكها

وخندف بفخرها والخنساء بشعرها في بيتها لانفت ان تكون قعيده خلي وطره وقد تجلى فان

فتذمرت المراة وتنمرت وحسرت عن ساعدها وشمرت وقالت له يا الام من مادر واشام

من قاشر واجبن من صافر واطيش من طامر اترميني بشنارك وتفري عرضي بشفارك وانت

تعلم انك احقر من قلامة واعيب من بغلة ابي دلامة وافضح من حبقة في حلقة

واحير من بقة في حقة وهبك الحسن في ادبه ووعظه والشعبي في علمه

وحفظه والخليل في عروضه ونحوه وجرير في غزله وهجوه وقسا في فصاحته

وخطابته وعبد الحميد في بلاغته وكتابته وابا عمرو في قرآته واعرابه وابن

قريب في روايته عن اعرابه اتظنني ارضاك اماما للمحراب وحساما للقراب لا والله

ولا بوابا للباب ولا عصا للجراب فقال لهما القاضي اراكما شنا وطبقة وحداة

وبندقة فاتركا ايها الرجال اللدد واسلكا في سبيل الجدد واما انت فكفي

عن سبابه وقري اذا اتى بيتك من بابه فقالت المراة والله ما انحجز عنه لساني الا

اذا كساني ولا ارفع له شراعي دون اشباعي فحلف ابو زيد بالمحرجات ثلاث

انه لا يملك سوى اطماره الرثاث فنظر القاضي في قصتهما نظر المعي وفكر

الفضا ومناعه ويعدد نوابيه ويفند طالبه وخاطبه ثم تنفس
تنفس الحريب وانتحب حتى كاد ينفضح النحيب وقال ان هذا لشي عجيب
الارشق بسهمين الانزه في قضية مغرمين اطبق ازاري الخصمين ومن اين ومن اين
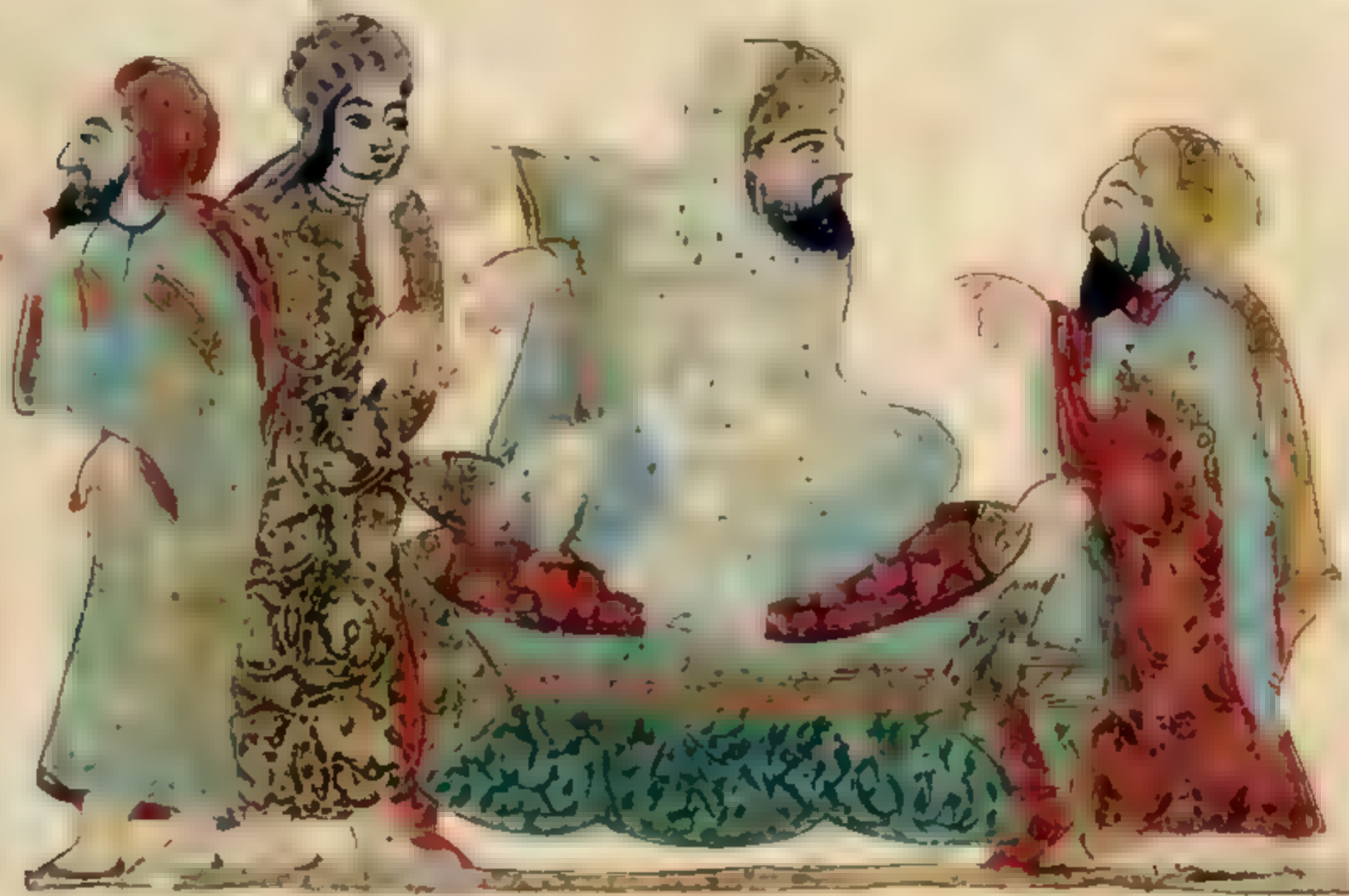
ثم عطف الى حاجبه المنفذ لمآربه وقال ما هذا يوم حكم وقضاء وفصل وامضاء
هذا يوم الاغتمام هذا يوم الاعتزام هذا يوم الهجران هذا يوم الحزن
هذا يوم عصيب هذا يوم نصاب فيه ولا نصيب فاحمني من هذين المتدارئين واقطع
لسانهما بدينارين ثم فرق الاصحاب واغلق الباب واشاع انه يوم مذموم

وانّ القاضي فيه مهموم بلا جرم خصوم قال فما من الحاجب على دعابة وتباكى لبداهه

ثم تعهدا بأن يدٍ وعرسه المتقاتلين وقال اشهد انكما لأجيل الثقلين للزاجر ما

مجالس الحكام واجتنبا فيها فحش الكلام فما كل قاضٍ قاضي تبريز ولا كل يوم تسمع

الاراجيز فقال الله مثلك من عجب وشكرك قد وجب ونهضا وقد حظيا بدينارين

واصليا قلب القاضي نار بين ❀

تفسير ما تضمّن هذه المقامة من الألفاظ اللغوية والأمثال العربية

قوله لقيت منها عرق القربة يقال لمن يلقى شدة من الامر الذي يزاوله كان حامل القربة يلقى تعب اي يعرق **وقوله** جعلته دبر اذني يعني اطرحته وهو كقوله تعالى فنبذوه وراء ظهورهم **وقوله** اكذب من سجاح بنت التي تنبأت في عهد مسيلمة الكذاب وسارت اليه لتناظره وتخبره ثم آمنت به ووهبت نفسها له وهذا الاسم مبني على الكسر مثل حذام وقطام لكونه من الاسماء المعدولة واشتقاقه من السجاحة وهي السهولة ومنه قولهم ملكت فاسجح وقولها اكذب من بني تمامة هذه كنية مسيلمة الكذاب وكان تنبأ باليمامة ومخرق بها الى ان سار اليه خالد بن الوليد وقتله **وقوله** [illegible]

[illegible] ايضا الدفر ويدعى للباني على اهله فيقال له [illegible] لك وقوله
يا دفار باخبار هذان الاسمان معدولان عن دفرة وفاجرة والدفر النتن وبه
سميت الدنيا ام دفر وكل ما سمي بصفة غالبة ثم عدل بها الى فعال بني على الكسر
عند النداء كقولهم لقولك يا لكاع يا خباث يا دفار يا فجار ولا يجوز استعمال ذلك
كقول الشاعر اطوف ما اطوف ثم آوي الى بيت قعيدته لكاع
واما قوله احمق من رجلة هي ضرب من الحمض ينبت في مجاري السيل فيجرفها واما
قوله الأم من مادر فهو رجل من بني هلال بن عامر كان يتخذ حوضا ليسقي ابله فلما
روي سلح فيه ومدره بسلحه لئلا ينتفع به من بعده واما قوله اشأم من قاشر
فانه فحل كان في بعض قبائل سعد بن زيد مناة ما صرف ابلا الا انفقت وقيل المراد
به العام المجدب وسمي قاشرا لقشره وجه الارض من النبات واما قوله
اجبن من صافر فقد اختلف في تفسيره فمنهم من عني به كل ما يصفر من
الطير وخص بالجبن لكثرة ما يتقيه من جوارح الجو ومصايد الارض وقيل انه
طائر بعينه اذا جنه الليل تعلق ببعض الاغصان ولم يزل يصفر طول ليلته
خوفا من ان ينام فيؤخذ وقيل انه الذي يصفر بالمرأة لريبة فهو يجبن وقت
صفيره مخافة ان يظهر على امره وقيل ان المراد به في المثل المصفور به وهو

الذي يبذل ناصحه اي اذا صغر به هرب هذا قول ابن الاعرابي فعلى هذا القول
فاعل ههنا بمعنى مفعول كقوله تعالى من ماء دافق اي مدفوق وكقولهم راجله
مرجوله وهو كثير في كلامهم وقد جاء مفعول بمعنى فاعل كقوله تعالى حجابا مستورا
اي ساترا واما قولها طش من طام فالمراد به البرغوث ويسمى طامر بن طامر
لكثرة وثوبه واما قول القاضي زادكما شنا وطبقة وحذاه وبندقة فانه اراد
به ان كلا منكما كفؤ لصاحبه ومقاوم له ولكل من المثلين تفسير مختلف فيه اما شن وطبقة
فان العلماء مختلفون في معنى قولهم وافق شن طبقة فقال الاكثرون انهما قبيلتان فشن
هو ابن افصى بن عبد القيس بن افصى بن دعمى بن جديلة بن اسد بن ربيعة بن نزار وطبقة حي
من اياد وكانت طبقة لا تطاق فاوقعت بها شن فانتصفت منها وقال بعضهم كان شن
رجلا من دهاة العرب وكان الزم نفسه الا يتزوج الا بامراة تلائمه فكان يجوب
البلاد في ارتياد طلبته فصاحبه رجل في بعض سفراته فلما اخذ منهما السير قال له
شن اتحملني ام احملك فقال له الرجل يا جاهل هل يحمل الراكب الراكب فامسك وسارا
حتى اتيا على زرع فقال له شن اترى هذا الزرع قد اكل ام لا فقال له يا جاهل اما
تراه في سنبله فامسك الى ان استقبلتهما جنازة فقال له شن اترى صاحبها
حيا فقال له ما رايت اجهل منك اتراهم حملوا الى القبر حيا ثم انهما دنوا

القرية رحل فصار به الى منزله وكانت له بنت تسمى طبقة فاخذ يخبرها بحكاية رفيقه
فقالت ما نطق الا بالصواب ولا استفهم الا عما يستفهم عن مثله اما قوله اتحملني
ام احملك فانه اراد تحدثني ام احدثك حتى نقطع الطريق بالحديث
واما قوله اترى هذا الزرع قد اكل فانه اراد هل استلف ربه ثمنه واما
استفهامه عن حياة صاحب الجنازة فانه اراد هل خلف عقبا يحيا ذكره به ام لا فلما
خرج الى الرجل حدثته بتأويل ابنته كلامه فخطبها اليه فزوجه اياها فلما سار بها الى
قومه وخبروا ما فيها من الدهاء والفطنة قالوا وافق شن طبقة فسارت مثلا
وحكي ان الاصمعي سئل عن تفسير هذا المثل فقال اظن الشن وعاء من ادم
كان قد تشنن فلما اتخذ له غطاء وافقه ضرب به المثل واما حداء وبندقة فانه
يقال في المثل المضروب لمن يفزع بعدوه او يبلى بنظيره حدا حدا وراءك
بندقة وكان الاصل حداة باثبات الهاء فرخم في ندائه وقد اختلف في المراد بهما
فقيل هما الطائر المعروف وبندقة الرامي وقيل انهما قبيلتان من سعد العشيرة
فاغارت حداة وكانت تنزل الكوفة على بندقة وكانت تنزل اليمن فنالت منهم
ثم كرت بندقة على حداة فابخت عليهم وروى بعضهم هذا المثل حد حد
غيرهم على ... بمعناه وزعم انه ... واما قوله اخطات استكما

اجمعه فانه مثل يضرب لمن يخطئ في مقصده ويضع الشيء في غير موضعه

طلسم وسوم بمعنى طمس كا وجمد بمعنى طرسم اي اطرق

اخرنطم وبرطم اي غضب وقطب وقيل ان معنى اخرنطم غضب مع تكبر

ومعنى برطم غضب مع عبس   همهم وغمغم اي لم يبن الكلام

المقامة الحادية والاربعون

حدث الحرث بن همام قال اصغيت الى دواعي التصابي في عنفوان شبابي فلم ازل زيرا
للغيد واذنا للاغاريد الى ان وافى النذير وولى العيش النضير فقرمت الى رشد الانابة
وندمت على ما فرطت في جنب الله ثم في كسع الهنات بالحسنات وتلافي الهفوات قبل
الفوات فملت عن معاناة الغادات الى ملاقاة الثقات وعن مداناة القينات الى
مداراة اهل الديانات وآليت ان لا اصحب الا من نزع عن الغي وفاء نشره الى الطي وان
الفيت من هو خليع الرسن مديد الوسن باينته من داره وفررت من عره وعاره
فلما القتني الغربة بتنيس وحلتني مسجدها الانيس رأيت به ذا حلقة ملتحمة ونظارة
مزدحمة وهو يقول بجأش متين ولسان مبين مسكين ابن آدم واي مسكين ركن الى غير
ركين واستمسك منها بغير مكين وذبح من حبها بغير سكين [illegible]

لتقاوده ويعتدّ فيها مفاخره ولا يتزوّد منها لآخرته اقسم بمن مرج البحرين ونوّر
القمرين ورفع قدر الحجرين لو عقل ابن آدم لما نادم ولو افتكر فيما قدّم لبكى الدم ولو
ذكر المكافاة لاستدرك ما فاته ولو تصوّر في المآل حسّن قبح الأعمال فيا عجباً
كل العجب لمن يقحم ذات اللهب في كسب ذهب وخزن النشب لذوي نسب ثم من البدع العجيب
ان يعظك المشيب وتؤذن شمسك بالمغيب ولست ترى ان تنيب وتهذب المعيب ثم
اندفع ينشد انشاد من [illegible]

يا ويح من انذره شيبه وهو على غيّ الصبى منكمش
يعشو الى نار الهوى بعدما اصبح من ضعف القوى يرتعش
ويمتطي اللهو ويعتدّه أوطا ما يفترش المفترش
لم يهب الشيب الذي ما رأى نجومه ذو اللب الا دهش
ولا انتهى عما نهاه النهى عنه ولا بالى بعرض خدش
فذاك ان مات فسحقاً له وان يعش عُدّ كمن لم يعش
لا خير في محيا امرئ نشره كنشر ميت بعد عشر نبش
وحبذا من عرضه صيّب يرفض عنه مثل برد رقش
فقل لمن ذا دينه هلكت يا مسكين او تنتعش

أخلص التوبة تطمس بها من الخطايا السود ما قد نُقش

وعاشر الناس بخُلقٍ رضًى ودارِ من طاش ومن لم يطش

ورِشْ جناح الحرّ ان حصّه زمانه لا كان من لم يرش

والجد بالموجود طلقا فان عجزت عن جدواه فاستجش

وانعش اذا ناداك ذو كبوةٍ عساك في الحشر به تنتعش

وهاك كاس النصح فاشرب وجد بفضلة الكاس على من عطش

فلما فرغ من مركبانه؟ ... انشاد ابياته نهض صبيّ قد شدن واعرى البدن وقال

يا ذوي الحصاة والانصات الى الوصاة قد وعيتم الاسناد وفهمتم الارشاد

فمن نوى منكم ان يتقبل ويستقبل المستقبل فليبرّ بما يغدو لا يعدل عن عطيته

فوالذي يعلم الاسرار ويغفر الاصرار ان سرّي لكما ترون وان وجهي ليستحيي

الصون فاعينوني رُزقتم العون قال واخذ الشيخ فيما يعطف عليه القلوب ويستنزل له

المطلوب حتى استحقره وعنوش؟ بقفره فلما ان نزع الكيس بصلات ميسر ولسّد

تخلّى للشيخ المقام بعدما انصاع الغلام واسترفع الايدي بالدعاء ثم نجا نحو

الانكفاء قال الراوي فارتحت الى ان أعجمه واجلي مترجمه فتبعته

وهو ينسلّ في ثمنه ولا يفتر عن توصمه فلما امن المفاجي وامكن مناجي لفت

جبينه الي وسلّم تسليم البشاشة علي ثم قال اذا فكد ذكا ذاك السويد قلت

اي والمؤمن المهيمن قال انه في السروجي ومخرج الدر من اللجي فقلت اشهد انك لشجرة

ثمرته وشواظ شراره فصدقني واستحسن انابتي ثم قال هل لك في بيت

تبيت بيننا نو كان لكنت فقلت له و [illegible] تامرون الناس بالبر وتنسون انفسكم

فافترّ افترار المتضاحك ومرّ غير متماحك ثم بدا له أن يرجع إليّ وقال احفظ عني وعِ

اصرف بصرف الكاس عنك الأسى وروّح القلب ولا تكتئب

وقل لمن لام فيما به تدفع عنك الهمّ قد كاد أنبْ

ثم قال أما أنا فسأنطلق إلى حيث أصطبح وأغتبق فإذا كنت لا تصحب وتلائم

من يطرب فلست لي برفيق ولا طريقك لي بطريق فخذ سبيلي ونكّب ولا تنقّر عني ولا تنقّب

ثم ولّى مدبرًا ولم يعقّب قال الحارث بن همّام فالتهبت وجدًا

عند انطلاقه ووددت لو لزمت الافه

الا احتمال ابن كرم الطبع فعدلوا عن اللذع والقذع ثم سلموا الى ان بلغ وتحكم
المبرز فسكن عند ذلك توقدهم وانحلت عقدهم ورضوا بما شرط عليهم ولهم واقترحوا
ان يكون اولهم فاسكر بيتا يعقد شنعه ويسد شبعه ثم قال اسمعوا وقيتم الطيش ومليتم

العيش وانشد ملغزا في مروحة الخيش
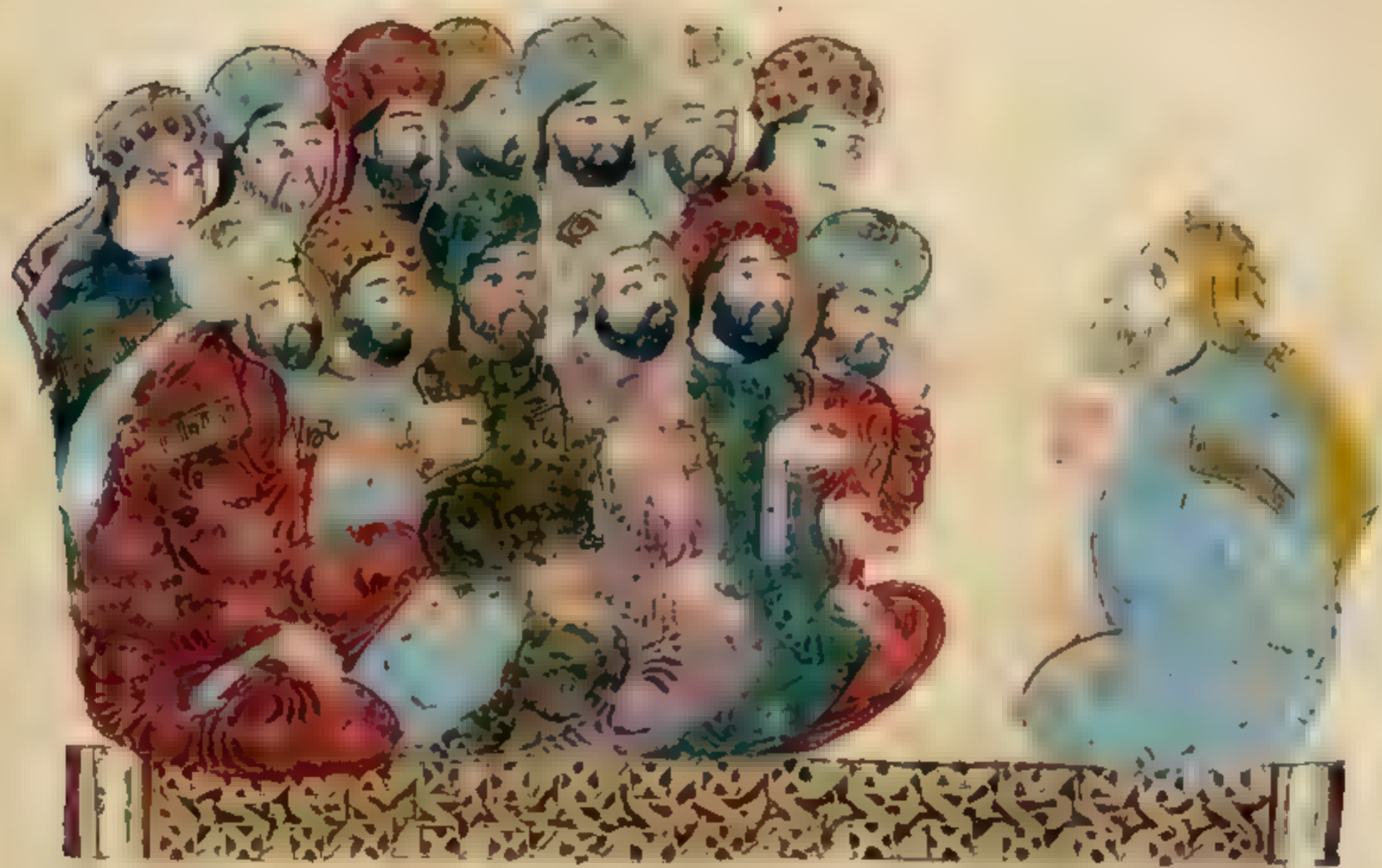
وجارية في سيرها مشمعلة ولكن على اثر المسير قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها على انه في الاحتثاث

عَن بُوبارزٍ فاعجب له من انسبِ طائفِ
يسح دموعٌ مفضومٍ ويهمي مفضرٌ متلافِ
وتخشى منه حدّته ولكن قلبه صافِ

فلما رشف الخمس التي تسق قال يا قوم تدبروا هذه الخمس واعقدوا عليها الخنصر ثم قال
رايكم ونعم الدليل الرواء للازدياد من الكيل فان استقرت بالقوم شهوة الزيادة على ما
اثبتوا من البلادة فقالوا له ان وقفنا دون حدك لتفحمنا عن آخرنا ندك
فان تممت عشرا فمن عندك فاهتز اهتزاز من فلج سهمه واخزل خصمه
ثم افتتح النطق بالبسملة وانشد ملغزا في المروحة

ومسرورة مغمومة طول دهرها وما هي تدري ما السرور ولا الغم
تقرب احيانا لاجل جنينها وكم ولد لولاه طلقت الام
وتبعد احيانا وما حان عهدها وابعاد من لم يستحل له ظلم
اذا قصر الليل استزيد وصالها وان طال فالاعراض عنها لها نعم
لها ملبس بادٍ انيق ومبطن بما يزدري لكن لما يزدري الحكم

ثم كشر عن نابه الصفر وانشد ملغزا في [illegible]

ومذهوب الشبا نام وما [illegible] ولا يشـ

يُرى في العشر دون النحر فابتع وصنه واعجب

ثم تخازر تخازر العفريت وانشد ملغزا في طاقة الكرنب

وما مجفوة تدنى وتقصى ... وما منها اذا افكرت بد

لها راسان مشتبهان جدا ... وكل منهما لاخيه ضد

تعذب ان هما خضبا وتلغى ... اذا عدما الخضاب ولا تعد

ثم تخمط تخمط القرم وانشد ملغزا في جلب الكرم

وما شيء اذا افسد ... تحول غيه رشدا

وان هو راق اوصافا ... اثار الشر حيث بدا

زكي العرق والده ... ولكن بئس ما ولدا

ثم اعتضد عصا التسيار وانشد ملغزا في الطيار

وذي طيشة شقه مائل ... وما إن به يهما عائل

يرى ابدا فوق علية ... كما يعتلي الملك العادل

تساوى لديه الحصا والنضار ... وما يستوي الحق والباطل

واعجب اوصافه ان نظرت ... كما يبصر الكيس الفاضل

[illegible] مجاكما ... وقد علموا انه مائل

قال فظللنا لافكارنا نهيم في أودية الأوهام ونجول جولان المستهام إلى أن

آن الأمد وحصحص الكمد فلما رآهم يترددون ولا يتسنى ويقضون النهار بالمنى قال

يا قوم إلام تنظرون وحتام تنظرون آن لكم استخراج الخبيء أو استسلام الغبي

فقالوا إنه لقد أغوصت ونصبت الشرك فقنصت فتحكم كيف شئت وحز الغنم والغنم

والصيت ففرض على كل معمى فرضًا واستخلصه منهم نضًّا ثم فتح الأقفال ووسم الأغفال

وحاول الانجفال فاعتلق به مدرة القوم وقال له لا البتة بعد اليوم فاستنشب

قبل الانطلاق وهبها متعة الطلاق فأطرق حتى قلنا مريب ثم أنشد والدمع مجيب

سروج مطلع شمسي وربع لهوي وأنسي

بجادِهِ والتحف بِرِدائِهِ فجثمتُ عند راسِهِ حتى هبّ من غطيطِهِ فلمّا ازدهر
سراجهُ واجتلى من فاجأهُ نفر كما ينفر المريب وقال اخوك ام الذيب فقلت بل خابط
ليلٍ ضلّ المسلكَ فاضئ لي اقدح لكَ فقال ليسفر عنك همّك فربّ اخٍ لم تلده امّك فانسرى عند

ذلك اشفاقي وسرت [illegible] لي آماقي فقال عند الصباح يحمد القوم السرى فما ترى
[illegible] من غذيك فصدع بمجيبي وخنج بعجبي

ثم رحلنا مجدّين وارتحلنا مدلجين ولم نزل نعاني السرى ونجافي الكرى الى

أن بلغ الليل غايته ورفع الفجر رايته فلما اسفر الصباح ولم يبق الا الوضوح توسمت رفيق رحلي

وسمير ليلي فاذا هو ابو زيد مطلب الناشد ومعلم الراشد فتهادينا تحية المحبين اذ

بعد البين ثم تباثثنا الاسرار وتناثثنا الاخبار وبعيري يتخبص من الكلال وناقته

ترقل ترقيل الرال فاعجبني اشتداد شدها وامتداد صبرها ولهجت باستشفاف جوهرها

والمسألة من تخيّرها فقال ان هذه الناقة خبراء حلوة المذاقة مليح السياقة

فان جذبت زمامه فاتخ وان لم تثنها فلا تنخ فانخت لقوله نضوي واهدنت له يسمع

لما يروي فقال اعلم اني استعرضتها بحضرموت وكابدت في تحصيلها الموت

وما زلت اجوب عليها البلاد واطس بها الطرق الى ان جدتنا غبر اسفار وغمة قفار

ذيلحقها العناء ولا تواصفها وجنا ولا ندري ما الهنا فاصدرنا للخير والشر واحللتها

محل البر السر فاتفق ان ندت مذ مدة ومالي سواها فقعدة فاستعرت لاسف

واستشرفت لتلف ونشبت كل زتلف ومكثت ثلاثا لا استطيع انبعاثا

ولا اطعم النوم الا حثاثا ثالثة وخذت في استقراء المسالك وتفقد المسالح والمبارك

وانا لا تستنشي منها ريحا ولا استغشي بشام برحا وكلما ادركت مصافها في السير

وانبئت هامها بادواه ... لا عيني لا اذكر ... فبينا انا في خوك

فان كانت هي التي اعطي بها عشرين وها هو من المبصرين فقد كذب في دعواه وكبر

ما افتراه اللهم الا ان يسدد فذا له ويبين مصداق ما قاله فقال الحكم التهم

وجعل يقلب النعل بطنا وظهرا ثم قال اما هذه النعل فنعلي واما مطيتك ففي رجلي

فانهض لتسلم ناقتك وافعل الخير بحسب طاقتك فنهض وقلت

اقسم بالبيت العتيق ذي الحرم ... والطائفين العاكفين في الحرم

انك نعم من الية يحتكم ... وخير قائف في الاعاريب حكم

فاسلم ودم دوم النعام والنعم

فاجاب من غير روية ولا عقد نية وقال

جزيت عن شكرك خيرا يا ابن عم ... اذ لست استوجب شكرا يلتزم

شر الانام من اذا استقضي ظلم ... ثم من استرعى فلم يرع الذمم

فذاك والكلب سواء في القيم

ثم انه نفذ بين يدي من سلم الناقة الي ولم يمنن علي فرحت اجر ذيل

الطرب واقول يا للعجب قال الحرث بن همام فقلت له بالله لقد اطرفت وهرفت

بما عرفت فانشدتك الله هل لقيت ابحر منك بلاغة واحسن للفظ صياغة فقال

اللهم نعم فاسمع وانعم كنت عزمت حين انهضت على ان اتخذ ظعينة لتكون لي معينة

فحين نعب بين الخطب وكاد الامر يستتب افكرت فكر المتحرز من الوهم المتامل
كيف مسقط السهم وبت ليلتي اناجي القلب المعذب واقلب العزم المذبذب الى
ان اجمعت على ان اتحرى واشاور ذا رأي يُبصر فلما قوضت الظلمة اطنابها وولت
تشهب اذنابها غدوت غدو المتعرف وابتكرت ابتكار المتعيف فانبرى لي يافع
في وجهه نافع فتيمنت بمنظره البهيج واستنجدت برأيه في التزويج فقال اني تبغيها
عوانا او بكرا تبغاني فقلت اختر لي ما ترى فقد القيت اليك العرى فقال
الي التبيين وعليك التعيين فاسمع انا افديك بعد فداء عاديك اما البكر فالدرة
المخزونة والبيضة المكنونة والباكورة الجنية والسلافة الهنية والروضة
الانف والطوق الذي ثمن وشرف لم يدنسها لامس ولا استغشاها لابس ولا مارسها
عابث ولا وكسها طامث ولها الوجه الحيي والطرف الخفي واللسان العيي
والقلب النقي ثم هي الدمية الملاعبة واللعبة المداعبة والغزالة المغازلة
والملحة الكاملة والوشاح الضام القشيب والضجيع الذي يشب ولا يشيب
واما الثيب فالمطية المذللة واللهنة المعجلة والبغية المسهلة
والطبة المعللة والقرينة المتحببة والحليلة المتقربة والصناع المدبرة
والفطنة المختبرة ثم انها عجالة الراكب وانشوطة الحاطب وقعدة العاجز

وتهزه المسار عن ركبتها لبينه وعقلها هينه ودخلتها متبينه وخلتها
مرتبه وأقسم لقد صدقت في التعبير وأجليت المهاتين فأيتهما هام قلبك وعلى
أيهما قام زندك قال أبو زيد فأيته جندلة يتقيها المراجم
وندّى منها الحاجر الآبي فقلت له كنت سمعت أن البكر أشد حبا وأقل خبا فقال قد
لعمري قيل هذا ولكن كم قول أذى وتجنى الا هي المهرة الأبية العنان والمطية
البطيئة الإذعان والزندة المتعسرة الإقتداح والقلعة المستصعبة
الافتتاح ثم إن مؤونتها كثيرة ومعونتها يسيرة وعشرتها صلفة ودالتها مكلفة
ويدها خرقاء وفتنتها صماء وعريكتها خشنة وليلتها ليلاء وفي رياضتها عناء وعلى
خبرتها غطاء وطالما أخزت المنازل وفركت المغازل وأحفقت الهازل وضرعت
الفتى البازل ثم إنها التي تقول أنا ألبس وأجلس وأطلب من يطلق ويحبس فقلت له فما
ترى في الثيب يا أبا الطيب فقال ويحك أترغب في فضالة المآكل وثمالة المناهل واللباس
المبتذل والوعاء المستعمل والذواقة المتطرفة والخراجة المتصرفة والوقاح
المتسلطة و[illegible] المتسخطة ثم كلمتها كنت وصرت وطالما بغي على فقرن
وشتان ما بين اليوم وأمس وأين القمر من الشمس وإن [illegible]
والطماحة الهلوك في الغال القمل والجوع الذي [illegible]

ترى أن تترهّب واسلك هذا المذهب فانتهرني انتهار المؤدّب عند زلّة المتأدّب
ثمّ قال وإيّاك أن تقتدي بالرهبان ولو أجمع واستبان أفٍّ لك ولو هنّ رأيك وتبًّا
لك ولأولئك البطلة أنسيت ما سمعته بأن لا رهبانيّة في الإسلام ولا حدّثت بمناكح
نبيّك النبيّ عليه السلام ثمّ أما تعلم أنّ السكن الصالحة تربّ بيتك وتلبّي صوتك
وتغضّ طرفك وتصيب عرفك وبها ترى قرّة عينك وريحانة أنفك وفرحة قلبك وخلد
ذكرك وذخيرة يومك وغدك فكيف رغبت عن سنّة المرسلين ومتعة المتأهّلين
وشرعة المحصنين ومجلبة المال والبنين والله لقد شانني فيك ما سمعت منك ثمّ
أعرض إعراض المغضب ونزا نزوان العقرب فقلت له قاتلك الله أتنطلق منجّزًا
وتدعني متحيّرًا فقال أظنّك تدّعي الحيرة لتجلد عميرة وتستغني عن المهيرة
فقلت له قبّح الله ظنّك ولا أشبه ظنّك ثمّ رحت عنه مراح الحيران وبتّ
من مثاورته الصبيان قال الحارث بن همّام فقلت له أقسم بمن أنبت الأيك
إنّ الجدل منك وإليك فأغرب في الضحك وطرب طربة المنهمك ثمّ قال العق
العسل ولا تسل فأخذت أتهيّب في مدرج الأدب وأفضل به على ذي النسب وهو ينظر إليّ
نظر المستجهل ويغضي عنّي إغضاء المتمهّل فلمّا أفضت في تعصّبي للعصابة الأدبيّة
قال لي بعد صمتي واقفة

يقولون إنّ جمال الفتى وزينته أدبٌ راسخُ
وما إن يزين سوى المكثرين ومن طود سؤدده باذخُ
فأما الفقير فخيرٌ له من الأدب القرص والكامخُ
وأيّ جمالٍ له أن يقال أديبٌ معلّمٌ أو ناسخُ

ثم قال الشيخ للصدق مهيعي وستارة مخبري وسرنا لا نألو جهداً
ولا نستبقي جهداً حتى إذا أنا المسير إلى قرية عزب عنها الخير فدخلناها
للارتياد وكلانا منفض من الزاد فما إن بلغنا المحط والمناخ المختطّ أو لقينا
غلاماً لم يبلغ الحنث وعلى عاتقه ضغثٌ فحيّاه أبو زيد تحية المسلم وسأله
وقفة المستفهم فقال وعمّ تسأل وفّقك الله فقال أيباع هاهنا الرطب بالخطب
قال لا والله فقال ولا البلح بالملح قال كلا والله قال ولا التمر بالسمر قال
هيهات والله قال ولا العصائد بالقصائد قال اسكت عافاك الله قال ولا
الثرائد بالفرائد قال أين يذهب بك أرشدك الله قال ولا الدقيق بالمعنى
الدقيق قال عدّ عن هذا أصلحك الله واستحلى أبو زيد تراجع السؤال والجواب
وتكاثر من الجراب ولمح الغلام أن الشوط بطين والشيخ شبيطين فقال له
حسبك يا شيخ فقد عرفت فنّك واستبنت أنك فخذ الجواب ضربة ونفّس

بخبرة اما بهذا المكان فلا مشتري للشعر بشعيرة ولا للنثر بنثارة
ولا للقصص بقصاصة ولا للرسالة بغسالة ولا لحكم لقمان بلقمة ولا للاخبار
الملاحم بلحمة واما جيل هذا الزمان فما فيهم من يمنح اذا امتدح ولا من
يجيز اذا اطربته الاراجيز ولا من ينعش حين تنشد له الاحاديث ولا من يميز
ولو انه امير وعندهم ان مثل الاديب كالربع الجديب ان لم تجد الربع ديمة لم
تكن له قيمة ولا دانته سيمة وكذا الاديب ان لم يعضده نشب فدرسه نصب وحرفته
جصب ثم انشد زهدوا ولي بجدوا فقال لي ابو زيد اعلم ان الادب
قد بار وولت انصاره اذ دابت له الجيش المصيرة ونلت بحكم الضرورة فقال
دعنا الآن من المصاع وخذ في حديث القصاع واعلم ان الاسجاع لا تشبع من جاع
فما الذي نرى فيما يمسك الرمق ويطفي الحرق فقلت الامر اليك والزمام بيديك
قال اري ان ترهن سيفك لتشبع جوفك وضيفك فانا لنيبه واقم لا تغلب الديك
بما تنشر فاجتنيت به الضر وفارقت السيف والرهن فما لبث ان ركب الناقة ورفض
الصدق والصداقة فمكثت مليا ارقبه ثم نهضت اتعقبه فكنت كمن ضيع في
الصيف ولم ... الغمد ولا السيف

المقامة الرابعة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال عنّ لي في ليلة داجية الظُّلَم فاحمة اللمم إيناس
نار على علم ونحن عن ركب وكانت ليلة جوها مقرور وجيبها مزرور ونجمها
مغمور وغيمها مركوم وأنا فيها أطرد من عير الحرباء عن الحرباء فلم أزل النفس
وأقول طوبى لك ونفسي إليك بشرى المؤذن إلى ومنبر فقالي فإذا بعدو الجمري
ومنشد مرتجز

حُيِّيتَ من خابط ليل سار رائد أحداه هداه ضوء النار

إلى رحيب الباع رحب الدار مرحّب بالطارق المشتار

رحّاب جعد الكف بالدينار ليس بمزورّ عن الزوار

ولا بمعتام القرى مختار إذا اقشعرّت نوب الأقطار

وممتهن لا نور بالإمضار فهو على نوب الزمان الضاري

جمّ الرماد مرهف الشفار لم يخل في ليل ولا نهار

من نحر وار وافتداح وار

ثم تلقاني محيّياً وصافحني براحة الحيّ وأفادني دُبْنا عناية تخور
وأعيان تفور وولائده تمور ومواريده تبدّد وبالكائنة أضياف قد جلبهم جالبي
وقلّبوا فأبى وهم يتناولون فاكهة الشتاء ويرتعون مع ذوي الغناء فأخذت ملاذهم

في دَمْصِدِ آكرٍ ووجدت بهم وجد ثمل بأنضاء ولما أن سري الجهر وانسري الحصر

ألفينا بموانيك كالهالات دوراً والروضات نوراً وقد نحر باطها الأنام وجمع من

العائب واللاكام فرفضنا ما قيل في البطنة ورأينا الإمعان فيها من الفطنة حتى إذا

أكلنا بضاء الحصر وتقفينا عقب خطر تحمر تعاورنا مسنون لعمرنا ثم تبوأنا مقاعد

للسمر وأخذ كل منا يفتق بلسانه وينشر ما في صوانه ما عدا شيخاً متهيئاً فوده

محلوقاً بوداده فإنه ربض جحرة وأوقعنا هجره نغاضه ينبذ ملبس

اللين نخل دقل ومنه قوله تعالى ما قطعتم من لينة

وساجد فوق نخل غير مكترث بما أتى بل يراه أفضل القرب

النحل الحمية المتخذ من نحل النخل

وعاذر لومها من ظل يعذره مع التلطف والمعذور في صخب

العاذر الخاتن والمعذور المختون

وبلدة ما بها ماء لمغترف وإنما أجري عليها جري منسرب

البلدة الفرجة بين الحاجبين وتسمى أيضا بلجة

وقرية دون أفحوص القطا تجنبه دلم عيشهم من خلسة السلب

القرية بيت النمل والدلم النمل الكبير

وكوكب يواري عند رؤيته الإنسان حتى من في أمنع الحجب

الكوكب نكتة البياض يحدث في العين والإنسان

ما هو إنسان العين

وروثة قومت مالا له خطر ونعت صاحبها بالمال لم تطب

الروثة مقدم الأنف

وتحفة من نضار خالص شربت بعد المدام بنفسي [illegible] الذهب

وكم اذا ازلوان الدهر انلف حتف لبد جنيت لسبر مضطرب

مذ ودم من افانين تحجبه عندي ومن ملح تلهي ومن نخب

فان قطعتم لحر القول بان لكم فضلي ودلكم طلعي على رطبي

وان شئتم فان العار فيه على من لا يميز بين العود والخشب

قال الحرث بن همام فتعنتنا نخبط في تعاليق فرضه ونابل معاريضه

وموبلون بنا الهوى الحلي بالنجح ويقول لنجز لعشايد فادحي الى ان تعسر النتاج واستحكم

فالقينا اليه المقادة وخطبنا عنه الافادة فوقفنا بين الطمع واليأس وقال الا يناس

قبل الابساس فعلمنا انه ممن رعى بنى الدهر ونهبتني في الحكم وساءنا ان نعرض

للغرم او نخيب بالرغم فاحضرنا ناقة عيدية وحلة سعدية وقال خذهما حلالا اوردا

نزرا اضيافي اثرا دفقال اشهدا انها شنشنة اخزمية واريحية حاتمية ثم قال لنا بوجه

بشره يشف ونضره ترف وقال يا قوم ان الليل قد حبا ودنا والنعاس قد استحوذ

فافزعوا الى المرافق واغتنموا راحة الرافد لتشربوا نشاطا وتعشوا نشاطا

فتعوا لما افسر ونستسهل لكم المتعسر فاستتب كل مار آه وتوسد وسادة

ثم اذ دلنا وسن الاجفان واعتقت الصفقان وثب الى الناقة فرحلها ثم ارتحلها

وترحلها وقال مخاطبا لها

سروج يا ناق فسيري وخدي ... وادني وادني واسئدي
حتى تطا خفاك مرعاها الندي ... فتنعمي حينئذ وتسعدي
وما بنا ان تتهمي وتنجدي ... ابه فبذك النوق جدي واجهدي
وافري اديم فدفد فدفد ... واقنعي بالشح عند المورد

ولا تحرمي دون ذاك المقصد ... فقد حلفت حلفة المجتهد

تالله ما البيت الرفيع العماد   تلك إذا حللتني في بلد

جلت مني محل الولد

قال فعلمت أنه السروجي لدنا إذ لاح انباج وإذ ملأ الصاع انصاع ولما ابلج صباح اليوم وهب النوام من النوم أعلمتهم أن الشيخ حين أغشاهم الشباب طلقهم البتات وركب لنا ناقة وفات فأخذهم ما قدم وما حدث ونسوا ما طاب منه بما خبث ثم اشتعبنا في كل متشعب وذهبنا تحت كل كوكب

قال الشيخ الإمام أبو القسم بن علي الحريري رحمه الله تعالى قد فسرت في كل لغز بحده ولم أبعد على من يقرأه كشفه وقد بقيت ألفاظ احتضنها هذه المقامة ربما التبس تفسيرها على بعض من يقع إليه فأحببت إيضاحها ليكفي حيرة التشبيه وكلفة الفكرة وتمهد البحث والمسألة وبالله تعالى المستعان والقوة

قوله عشوت إلى نار يعني نورتها فقصدتها فإن لم تقصدها قلت عشوت عنها كقوله تعالى ومن يعش عن ذكر الرحمن نقيض له شيطانا أي من يعرض **وقوله** وكنت أصرد من عنز الجرباء والعنز الجرباء هذا مثل يضرب لمن يبلغ منه البرد وذلك أن الجرباء تدفأ لابد لها مع الشمس وتشتد بالعشية ولذلك شبه ابن الرومي الرقيب بالجرباء في قوله

ما بالها قد حسنت ورقيبها ابدًا قبيح قبح الرقباء
ما ذاك الا انها شمس الضحى ابدًا يكون رقيبها الحرباء

والعنز الجرباء لا تدفأ في الشتاء لقلة شعرها وذكر بعضهم ان العنز الجرباء تصحيف للمثل الاول قوله بجزوار يعني الجمل المكتنز لحمًا قوله عشار بحور واعشار نوق العشار النوق الحوامل واحدتها عشراء وهي التي اتى عليها عشرة اشهر ولا يزال ذلك اسمها الى ان تضع وبعد ما تضع والاعشار البرمة العظيمة كانها شعبت لعظمها فيقال برمة اعشار وجفنة اكسار وثوب اسمال وبرد اخلاق وحبل ارمام ووصف الجماعة منها كوصف الواحد قوله فاكهة الشتاء كنى بها عن النار ومنه قول بعض المحدثين

النار فاكهة الشتاء فمن يرد اكل الفواكه شاتيًا فليصطل

قوله سوابق كالهالات يعني دارات القمر واحدتها هالة ودارة الشمس تسمى الطفاوة قوله منوط بغمر يعني المنديل مشدّ به بالمنديل اي مسحها ومنه قول امرئ القيس نمش باعراف الجياد اكفنا اذا نحن قمنا عن شواء مضهب [illegible] قوله منتهبًا فوده اي صار من يشيب في لون الاشهب ومنه قول [illegible] قالت الخنساء [illegible] شاب بعدي راس هذا واشهب

[illegible]

قوله بين نجدين يعني باحدهما في المثل من شارف الرخاء وكان بعد
البلاء يرتع وسطا وبين نجدين **قوله** استرعى ثمّ السامر يعني السمار
لان السامر اسم للجمع كالحاضر اسم للحي النازلين على الماء وكالباقر اسم لجماعة البقر وقال
بعض اهل اللغة هو اسم للبقر مع رعاتها واشتقاق السامر من السمر وهو ظل القمر ماخوذ
من السمرة فلما كان غالب احوال السمار انهم يتحدثون في ظل القمر اشتق لهم اسم
منه والى هذا يرجع قولهم لا اكلمه السمر والقمر **قوله** ليس بعشك فادرجي منه
مثل يضرب لمن يتعاطى ما لا ينبغي له والعش ما يكون في شجرة فاذا كان في حائط او
كهف جبل فهو وكر **قوله** الايناس قبل الابساس هذا مثل ايضا ومعناه انه
ينبغي ان تؤنس الانسان ثم تكلفه واصله ان حالب الناقة يؤنسها حين يروم حلبها
ثم يبس لها للحلب والابساس ان يقول لها بس بس لتسكن وتدر وتسمى الناقة التي تدر
على الابساس البسوس **قوله** ترغب في الذخر التشكر ما اعطيته على سبيل المجازاة
فان تبرعت بالعطاء مبتديا فهو التشكر ومنه قول الشاعر

شكري عليه وذاك تشكري … للخير والشر جزاء عندي

كالارض منها السود عنه تودي

قوله شاباشوا يعني المصنف لذي ود الندو توه عنده **قوله** فقشيرة

قيل انها منسوبة الى فحل منجب اسمه عبيد وقيل بل هي منسوبة الى فخذ من مهرة اسمه
عيد فقيل لهم بنو عيد بن الآمري على وزن العامري بزنته وكانت مهرة وعيد تنجب نجائب
الابل ونسبت اليهما **قوله** جلة سعدية هي منسوبة الى سعد بن العاص وكان رسول الله
صلى الله عليه وآله وسلم كساه وهو غلام حلة فنسب جنسها اليه **قوله** لا ترزأ اضيافي
زبالا اي لا ترزأهم شيئا ولو قل والاصل في الزبال ما تحمله النملة بفيها **قوله**
شنشنة اخزمية اشارة الى المثل الذي ضربه جد حاتم بن عبد الله بن سعد بن الحشرج
ابن اخزم الطائي حين رأى حاتما وتفضل اخلاق جده اخزم في الجود فقال شنشنة اعرفها
من اخزم وتمثل عقيل بن علفة به حين قال

ان بني ضرجوني بالدم ... من يلق آساد الرجال يكلم
شنشنة اعرفها من اخزم

يريد ان المنزلة قد يتحدث بها فيه **قوله** اخلوذ اي اسرع في الذهاب ومثله
اخروط **قوله** ونبا لي بناقة فرطها يعني شد عليها الرحل وهي تسمى الراحلة لانها
فاعلة بمعنى مفعولة كقوله تعالى في عيشة راضية اي مرضية وقوله سبحانه من ماء
دافق اي مدفوق والراحلة تقع على الجمل والناقة ودخول الهاء فيها للمبالغة مثل
داهية وراوية **قوله** رحلها اي كلماتي في حديث ان النبي صلى الله عليه وآله وسلم

تجد وكبه الحسن عليه السلام فابطأ في سجوده فلما قضى صلاته قال ان ابني ارتحلني فكرهت ان
اعجله **قوله** ورحلها اي اعجبها واخذ بها في الرحيل ومنه الخبر تخرج عند اقتراب
الساعة نار من قعر عدن ترحل الناس **قوله** تحي واوي واستيبي الادلاج ان
يسير الليل كله والاسم منه الدلجة بفتح الدال والادلاج بالتشديد ان يسير من آخره والاسم
منه الدلجة بضم الدال وقيل ان الدلجة بفتح الدال وضمها لغتان والتاويب سير النهار وحده
والاسناد ان يسير ليلا ونهارا والنشج ان نشرب دون الري **قوله** فاخذهم ما قدم وما
حدث يعني ذلك لمن [illegible] عليه الهم والدال من حدث بضمة في هذا الموضع وحده ليوافق
لفظ قدم فان افرد حدث عن قدم وجب فتح الدال من حدث في مثله قولهم هنأني ومرأني بحذف
الالف من مرأني اذا ذكر مع هنأني فان افرد وجب اثباتها بقولك امرأني الطعام وكذلك [illegible] رجس
نجس بكسر النون من نجس [illegible] منه لم يجز الا لفظه رجس [illegible] وقيل نجس
بفتح النون والجيم كما قال الله تعالى انما المشركون نجس **قوله** ذهبنا [illegible] هذا
المثل يضرب لمن يخيف في السفر طرقهم و[illegible] سبلهم

المقامة الحادية والاربعون

حكى الحارث بن همام قال كنت اخذت عن اولي التجارب [illegible] لاعاجيب

ابن جوب كل تنوفة واقتحم كل مخوفة حتى اجتليت كل اصوفة من الحسن ما لمجنة واغرب
ما استملحنه إلى ان حضرت قاضي الرملة وكان من ارباب الدولة والصولة وقد ترافع
اليه بال في بال وذات جمال في سمال فهم الشيخ بالكلام وبيان المرام فمنعته
الفتاة عن الافصاح وحسانه عن النشاج ثم نضت عنها مصلة الوشاح وانشدت

... الجمة ... فاجرة

... ... فى ... الثمرة والجمرة

ابيت اشكو جور بعلي الذي لم يحجج البيت حتى مرة

وبته لما قضى نسكه وخف ظهرا اذ رمى الجمرة

كان على راي ابي يوسف في صلة الحجة بالعمرة

هذا على اني مذ ضمني البيت لم اعص له امره

فمن اما الف تجلوه ترضى واما فوقه مرة

من قبل ان اخلع ثوب الحيا في طاعة الشيخ اي مرة

فقال له القاضي قد سمعت ما عزته اليه وتوعدتك عليه فجانب ما عرك وحاذر ان تقرك

وتعرا لحنا الشيخ على قفانه وجر بنوع نفانه وقال

اسمع عداك الذم قول امرئ يوضح فيما رابها عذره

والله ما اعرضت عنها قلى ولا هوى في قلبي قضى نذره

وانما الدهر عدا صرفه فابتزنا الدرة والبدرة

فمنزلي قفر واجنادها عصبة من الجوع والشذره

وكنت من قبل ارى في الهوى ودينه راي بني عذرة

فمذ نبا الدهر هجرت الذي يهجر من عف خدره

وملت عن حبي لا رغبة عنه و...

فلما ألم من هذه مجاله وعطف عليه واجمل هذره

قال وانصتت لما رأته من مقاله واستشطت لجداله وقالت له ويلك يا فقعان ان من هو لا

طعام ولا ضعفان ان تضيق بالولد ذرعا ولكل كواله مرعى لقد ضل فهمك واخطأ سهمك وسفهت

نفسك ونفثت بك عرسك فقال لها اما انت فلو جاد بك نحسا لكنت عنك خرسا واما

هو فان كان صدق في عمه ودعوى عدمه فله في همه تعقبه ما يشغل عن ذنبه فاطرقت تنظر

ازورارا ولا ترجع جوابا حتى فلما قد احتجبها الخفر وحاق بها الضجر فقال لها الشيخ تعسا

لك اذ خرفت وكتمت ما عرفت فقالت ويلك وهل بعد المنافرة كتم وبقي لنا على ستر

وما فينا الا من صدق وهتك صونه اذ نطق فليتنا لاقينا البكم ولم نلق الحكم

ثم انبعثا يتناجيان وتباكيا لافتضاحهما وجعل القاضي يعجب من خطبهما ويتعجب ويلوم

لهما الدهر ونوبه ثم احضر من الورق الفين وقال ارضيا بها الاجوفين وعاصيا الناغي

بين الالفين فتكراه على جسر السراح وانطلقا وهما اهل للمراح وطفق القاضي

بعد مسرحهما ونأي شخصهما يثني على ادبهما ويقول هل من عارف بهما فقال له عين اعوانه

وخالصة خلصائه اما الشيخ فالسروجي المشهود بفضله واما المرأة فقعيدة رحله واما

[illegible] من [illegible] حبوله من حبائل ختله فاحفظ القاضي ما سمع وتلهف كيف

خدع [illegible] فصدهما فنهض ينفض مذ [illegible]

عاد يضرب صدره بيده فقال له القاضي اظهر لنا على ما بثثت ولا تخف ما استحببت فقال

ما زلت استقري الطرق واستفتح الغلق الى ان ادركتهما مستجيرتين وقد نمّا مطي البين فرعتهما

في لعلّ وهلّ لهما بنيل الأمل فانبرى قلب بشيخ ازيناره وقال افعل ايقن ان الكيس فانهى لك

اعود احمد والمروة ابدا تكرمه فلما تبين الشيخ تصديها وغرورا خبرا بها امسك

ذلاذ لها تم انشا يقول ــــــــــــــــــ لها

دونك نصحي فاتبع سبله وعين لتفصيل الجمله

طبري منى تقرب من نخله وطلقتها بتة بتله

وحاذر العود اليها ولو سبلها اصورها لأبله

فخير ما المرء لا يرى بقعة فيها له عمله

ثم قال لي قد عنيت فيما وليت فارجع من حيث جئت وقل لمن ارسلك اذ تشت

ودونك لا تعقب جميلك بالأذى فتضحي وتمثل المال والحمد منصدع

ولا تغضب من تزيد سائل فما هو في صوغ اللسان بمبتدع

فان تك قد ساءتك منه خديعة فقبلك شيخ الاشعريين قد خدع

فقال القاضي فالله الله فما احسن مجونه واملح فنونه ثم اضحك رباه بود دينه ومن

العتب وقال له سر سيرمن لا يرى الالتفات في زمن شيخه لفتات بيل

يدرهما بهذا الحباء ويبين هما الحدي للادباء قال الراوي فلم ار في الاغتراب كهذا

العجاب ولا سمعت بمثله ممن جال وجاب ٥

المقامة السادسة والاربعون

حدث الحارث بن همام قال نزع بي الى حلب شوق غلب وطلب ماله من صلب فكنت يومئذ

خفيف الحاذ حثيث النفاذ فاخذت اهبة السير وخففت نحوها خفوف الطير

ولم ازل مذ حللت ربوعها وارتعت ربيعها اقاني لاياني فيما يشفي الغرام ويروي الاوام

الى ان قصر القلب عن ولوعه واستطار غراب البين بعد وقوعه فاغراني بان الخلو ومرح الخلو

بان قصد حمص لاستشف بقعتها واسبر رقاعة اهلها فاسرعت اليها نزوع النجم

اذا انقض للرجم فحين خيمت برسومها ووجدت روح نسيمها صرت في شيخا قد اقبل هريرة

وادبر غريرة وعنده عشرة صبيان صنوان وغير صنوان فطاوعت في قصده الحرص لاخبره

اذ اجمص فبشرني حسن وافنته وحيا باحسن ما حييته فجلست اليه لابلو جنى

نطقه واكتنه كنه حمقه فما لبث ان شار بعصيته الى اكبر اصيبيته وقال له

انشد الابيات العواطل واحذر ان تماطل فجثا جثوة ليث وانشد من غير ريث

اعدد لحسادك حد السلاح واورد الآمل ورد السماح

وسالم اللهو وخل المها واعمل الكوم وسمر الرماح
واسع لإدراك محل سما عماده لا لادراع المراح

والله ما السؤدد حسو الطلا ولا مراد الحمد رود رداح
واهاً لحر صدره واسع وهمه ما سر أهل الصلاح

الأبيات الأخياف وتجنب الخلاف فأخذ القلم ورقم

اسمح فبث السماح زين ولا تخب آملا تضيف

ولا تجز رد ذي سؤال فنن أم في السؤال خفف

ولا تظن الدهور تبقي مال ضنين ولو تقشف

واحلم فخفض الكرام يغضي وصدرهم في العطاء ينقف

ولا تخن عهد ذي وداد ثبت ولا تبغ ما تزيف

فقال له لا شلت يداك ولا كلت مداك ثم نادى يا عنتر يا عيضر مثنم فلباه غلام كدرة غواص وجوذر قناص فقال له اكتب الأبيات المتائيم ولا تكن من المشائيم فتناول القلم المثقف وكتب ولم يتوقف

زينب زينت بقد يقد وتلاه ويلاه نهد يهد

جندها جيدها وظرف وطرف ناعس تاعس بحد يجد

قدرها قدرها وتاهت وباهت فاعتدت واغتدت بخد تخد

فارقتني فأرقتني وشطت وسطت ثم وجد وجد

فدنت فذبت وحنت وجنت غضبا مغضبا بجد يجد

فصعد الشيخ تأمل ما سطره وتطلب فيه نظره فلما استحسن خطه واستصح ضبطه

١٥٤

قال له لا شُلّ عشرك ولا استحيت نشرك ثم أهاب بغيثي فإن نسق عرارها نشّان

فقال له أنشد البيتين المصحّفين المشتبهي الطرفين اللذين سكناهما كل نافث وأمنا

أن يعتورهما انبثاث فقال للرابع لا وُفّر جمعك ولا هُزم جمعك ثم أنشد من غير تلبّث ولا

تريّث

زينة تحمد آثارها فاشكر لمن أعطى ولو سمسمه

والمكر مهما اسطعت لا تأته لتقتني السؤدد والمكرمه

فقال له أجدت يا زغلول يا بالغلول ثم نادى ونح يا ماتين ما تشكل من ذوات الشين

فهبّ ولم يتأنّ وأنشد بصوت أغنّ

نعش الدواة ورسع الكف شيبة سيباهما ان هما الخطا وان دُرسا

وهكذى الشين في قسب وناشفة والسخ والنجش والقشر والقبس قبسا

وفي تفتيتين [illegible] الكلام وفي مسبطر وتموس وانحاس جرسا

وفي قريس وبردقا ان تخا الصوب منه وكن للعلم مقتبسا

فقال أحسنت يا عيش يا صناجة الجيش ثم قال ثب يا عنبسة وبين الصادات

الملتبسة فوثب وثبة شبل مستثار ثم أنشد من غير عثار

[illegible] ذكر فرضت [illegible] درهما يا ناملي واصخ لتستمع الخبر

و[illegible] وهو الصدر واقتص الأثر

وخصت مقلته وهدي قرحته وقد أبى عدن منه القريحة للخور

وقصرت هنته اي حبسته وقد نافح لنصاري دهو عبد منتظر

وقرمته وحمر قاربه اذا حذف للسان وكل هذا منتظر

فقال له ارغباً يا بني فقد اقربت ثم استنهض ذا جثة كالبيذق ونغمة كالشوذق

وامره ان يقف بالمرصاد ويسرد ما اجري على السين والصاد فنهض يجذب برديه ثم انشد منيراً بيديه

إن شئت بالسين فاكتب ما ابينه ... وإن تشأ فهو بالصاد الذي يكتب

مغص وقص ومسطار ومملس وسابغ وصراط اجوق والسقب

المغص الوجع المعترض في الجوف وهو مسكن الغين والقص قص البيضة والمسطار الخمرة المرة يقال لها المصطار ايضاً والمملس الذي ينقص من مده ولا شعر به والسابغ

والسابغ آخر اسنان دواب الظلف والسقب القرب

والسامغان وصقر والسويق ومسلاق وعن كل هذا تفصح الكتب

السامغان جانبا الفم والمسلاق الشديد الصوت ومنه قوله تعالى سلقوكم بألسنة حداد

فقال له احسنت يا حبقة يا عين بقة ثم نادى يا دغفل يا زنفل فلباه فتى احسن ...

من شجنه في روضة فقال ما عندك هجا الافعال التي ... ف ...

دهم صداك ولا سمعت عدلك ثم انشد وما تلعثم ...

اذا الفعل يوما غم عنك هجاؤه فالحق به تا الخطاب ولا تقف

فان تر قبل التاء يا فكتبه بيا والا فهو يكتب بالالف

ولا تحسب الفعل الثلاثي والذي تعداه والمهموز في ذاك يختلف

فطرب الشيخ لما اداه ثم عوذه وفداه ثم قال هلم يا قعقاع يا نافعة البقاع فاقبل
احسن من نار القرى في عين ابن السرى فقال اصدع بتمييز الظاء من الضاد
لتصدع اكباد الاضداد فاهتز لقوله واهتش ثم انشد بصوت جهر

ايها السائلي عن الضاد والظاء لكيلا تضله الالفاظ

ان حفظ الظاءات يغنيك فاسمعها استماع امرئ له استيقاظ

هي ظمياء والمظالم والاظلام والظلم والظبى واللحاظ

والعظا والظليم والظبي والشيظم والظل واللظى والشواظ

والتظني واللفظ والنظر والتقريظ والقيظ والظما واللماظ

والحظى والنظير والظئر والجاحظ والناظرون والايقاظ

والتشظي والظلف والعظم والظنبوب والظهر والشظا والشظاظ

والاظافير والمظفر والمحظور والحافظون والاحفاظ

والحظيرات والمظنة والظنة والكظم والمغتاظ

والوظيفان والمواظب والكظة والاكتظاظ والإلظاظ

ووظيف وظالع وعظيم وظهير والنغظ والإغلاظ

ونظيف والظرف والظلف الظاهر ثم المظبع والوعاظ

وعكاظ والظعن والمظ وحنظل والقارظان والأوشاظ

المظ رمان البر والقارظ جاني القرظ وهو نبات المدبوغ به والأوشاظ الأخلاط واحدها

وظراب الظراب والشظف الباهظ والجعظري والجواظ

الظراب الروابي الصغار واحدها ظرب والظراب الحجارة المحددة واحدها ظرر والجعظري المنتفخ بما ليس عنده والجواظ الفاجر وقيل الأكول المختال

والظرابين والجناظب والعنظب ثم الظبان والأرعاظ

الظرابين جمع ظربان وهي دابة لا يدنو منها أحد من نتنها ويجمع أيضا على ظرابي بحذف النون وعلى ظربى وهو جمع شاذ والجناظب ذكور الخنافس والعنظب ذكر الجراد

والظبان ما بين البر والأرعاظ جمع رعظ وهو مدخل النصل في السهم

والشناظي والدلظ والظاب والظبظاب والعنظوان والجعاظ

الشناظي نواحي الجبل والدلظ الدفع والظاب العيب وقد تبدل الباء منه ميما وقيل إن

الظاب والظام اسمان لسلف الرجل عند ... والظبظاب للدابة ما ...

ضبضات لا نعات لما به قلبه والجعاظ الأجن وقيل المسخط عند العامة

وللمناظير والمعاظل والعلض والبط بعد والإنعاظ

المناظير جمع منظير وهو الشيء الخشن والمعاظل ملازم الجراد والكلاب عند

السفاد والعظم الحظي ٥

اقتفوا آثار الحفاظ

وبينهم بحمو حتبر وبه فلم تعفل عغبر ولا ينبئك مثل خبير فقلت له بالله الا ما لا كبر الايام
وعلم الاعلام والساحر الداعب بالاوهام المدلل له سبل الكلام لم ازل معكما بادية
مغنة فامن سبل واديه الى ان غابت لا يام الغبر وابلى لاحداث الغير ففارقه
ولعبني الغبر

المقامة السابعة والاربعون

حكى الحرث بن همام قال احتجت الى الحجامة وانا بحجر اليمامة فارشدت الى شيخ
يحجم بلطافة ويسفر عن نظافة فبعثت غلامي لاحضاره وارصدت سنى انظاره فابطا
بعد ما انطلق حتى خلته قد ابق او ركب طبقا عن طبق ثم عاد عود المخفق مسعاه
الدال على مولاه فقلت له ويلك ابطات بوصول زند فزعم ان الشيخ اشغل من
ذات النحيين وفي حرب كحرب حنين فعففت المسعى الى حجامه وحزني اقدامه واحجامه
ثم رايت ان لا نعيف على من ياتي الكنيف فلما شهدت موسمه وشاهدت ميسمه
رايت شيخا هيئته نظيفة وحركته خفيفة وعليه من النظارة اطواق ومن
الاجماع اطباق وبين يديه فتى كالصمصامة مستهدف للحجامة والشيخ يقول له اراك
قد ازرت ... وصانه وولّيتني قدرك ولم تقل لي ذا الدولة

ممن يبيع نقدًا بدين، ولا يطلب أثرًا بعد عين، فإن أنت سمحت بالعين، جمعت في الأجر بين

وإن كنت ترى شحّ أبويه وحرمان الطالب في النفس أحلى، فاقرأ عبس وتولّى، واغرب عنّي وإلّا

فقال الفتى والذي حرّم صوغ المين، كما حرّم صيد الحرمين، إنّه لأفلس من ابن يومين فثق

بسنبل ناعمة، وانظرني إلى تيسير، فقال له الشيخ ويحك أما تمثّل الوعد كمثل العود وهو

بين أن يدركه العطب، أو يدرك منه الرطب، فما يدريني أتجتني من عودك جنى، أم أحصل منه

على ضنى، ثم ما اليقين بأنك حين يتعدّى سنّك تفي بما تعد، وقد صار الغدر كالتحجيل في حلية

هذا الجيل، فأرحني بالله من التعذيب، وارحل إلى حيث يعوي الذيب، فاستوى الغلام البيه

وقد استولى الخجل عليه، وقال والله ما يحسن بالوعد غير الحسن الوعد، ولا يرد عذر العذر

إلّا الوضيع القدر، ولو عرفت من أنا لما أسمعتني الخنا، ولكنك جهلت فقلت وجبت وجبأت

تجدبلت وما أقبح الغربة والإقلال، ولله درّ قول من قال

إنّ الغريب الطويل الذيل ممتهن ... فكيف حال غريب ما له قوت

لكنّه ما ينال الحرّ موجعة ... فالمسك يسحق والكافور مفتوت

وطالما اصطلى الياقوت جمر غضًا ... ثم انطفى الجمر والياقوت ياقوت

فقال له الشيخ يا وُليد أبيك وعولة أهلك، أأنت في موقف فخر يُظلم ونسب يشهر

أم موقف جدب يكشط، ووقف يسترط، وهبك كما ادّعيت أنّ نسبك يخضل بدرت

بحمدٍ قد لك لا والله ولو رأيت أنافَ على عبد مناف وتحدّى أن عبد المدان فلا تقرب في
حبلٍ بارد ولا تطلب ما تستنكره بواجده وابدأ بما هيّئ بوجودك لا بجودك وبحولك
لا بأصولك وبصفاتك لا برفاتك وبأعلاقك لا بأعراقك ولا تطع الطمع فيذلّك ولا
تتبع الهوى فيضلّك ولله القائل لابنه

بنيّ استقم فالعود تنمي عروقه قويما ويغشاه إذا ما التوى التوى

ولا تطع الحرص المذلّ وكن فتى إذا التهبت أحشاؤه بالطوى طوى

وعاص الهوى المردي فكم من محلّق إلى النجم لمّا أن أطاع الهوى هوى

وأسعف ذوي ... على من إلى الجسر اللباب انضوى ضوى

وحافظ على من لا يحرز إذا ما زمان من ... إذا ما التوى نوى

وإن تقتدر فاصفح فلا خير في امرئ إذا ما تمكّنت أظفاره بالشوى شوى

وإياك والشكوى فلم يرَ ذو شكا بل الحرّ من يحمل الذي ما دعوى عوى

فقال الغلام للنظارة يا للعجيبة والطرفة الغريبة أنفٌ في السماء واستٌ في الماء
ولفظة الصهباء وفعل كالحصباء ثم أقبل على الشيخ بلسان سليطٍ وغيظٍ مستشيط
وقال أفٍّ لك من متنطّعٍ باللسان روّاغٍ عن الإحسان يأمر بالبرّ ويعقّ عقوق الهرّ فإن
[illegible] ... الكساد وإفساد الحساد حتى أقع من

بتأبط وابنيوزرقا من سم خياط فقال له الشيخ بل سلط عليك شر لقم وينبع الدم

حتى تجلى الحجام غضبه لا تشتطط فقال [illegible]

منلا في ضوالله
ملا فيظ الله سعبان ابراهيم
عثيان عثلمان

ولو أن عندي قوت يوم لما مشت بي المشية المؤلمه

ولا رأيت نفسي التي لم تزل تسمو إلى المجد بهذي السمه

ولا اشتكى هذا الفتى غلظة مني ولا شاكته حسنى جمه

لكن صروف الدهر غادرنني كحابط في الليلة المظلمه

واضطرني الفقر إلى موقف من دونه خوض اللظى المضرمه

فهل فتى تدركه رقة علي أو تعطفه مرحمه

قال الحارث بن همام فكنت أول من آوى لبلواه، ورق لشكواه، فنحلته بدرهمين وقلت لا
كانا ولو كانا ذا مئين فابتهج بباكورة جناه وتفاءل بهما إذ جناه وما زال الدراهم تنهال
عليه وينثال لديه حتى أركبه عيشه خضرة وجنبه تجشم فاردهاه الفرح وما ذكر
ومنا نفحه هنالك بذل الغلام وهذا بيعات بذره وجاب كل تشطل فلم يحتشم
ولا تجشم فقاسمناه نوال يمينه ودهمنا متقي لكلمته ولما انتظم عقد الاصطلاح
وهم الشيخ بالرواح قلت له قد شوقتني وقلت إليك فديتها لك في أن
تحكمني وتكاشفني بما دهمني فصوب طرفه في وصعد ثم ازدلف إلي وأنشد

دع نبذ ما شذ عني وخلي وما جرى بيني من محال
حتى انثنيت فانعتا الخصال نبّه عن نبذ مجلي

يضرب لمن لا يكترث بشأن صاحبه ولا يبالي أسنم أم شذ به لانه لو شكاه لصمت وامثل
من الكلام ومنه قول الراجز خاطب جملاً له

انك لا تشكو الى مصمت ۞ فاصبر على الحمل الثقيل او مت

ونحو هذا المثل هان على الاملس ما لاقى الدبر ۞ واما قوله شغلت شعابي جدواي
فالمراد به انه ليس يفضل عني ما اصرفه الى غيري والشعاب النواحي واحدها شعب وقوله
كل الحذاء يحتذي الحافي الوقع معناه ان المجهود يقنع بما يجد والوقع ان تصيب الحجارة
القدم فتوهنها واما تعبيره الموقع فهو الذي كثرت آثار الدبر بظهره

المقامة الثامنة والاربعون

روى الحرث بن همام عن ابي زيد السروجي قال ما زلت مذ رحلت عنسي وارتحلت عن عرسي وغرسي
احن الى عيان البصرة حنين المظلوم الى النصرة لما اجمع عليه ارباب الدراية واصحاب الرواية
من خصائص معالمها وعلمائها ومآثر مشاهدها وشهدائها واسأل الله ان يوطئني ثراها
لافوز بمرآها وان يمطيني قراها لاقتري قراها فلما احلنيها الحظ وسرح فيها اللحظ

رأيت بها ما يملأ العين قرة ويسلي عن الاوطان كل غريب

فغلست في بعض الايام حين نصل خضاب الظلام وهتف ابو المنذر بالنوام لاخطو في خططها

وأفضى بي الوطر من توطنها إلى الاختراق في مسالكها والانصلات في سككها إلى محالّ
موسومة بالاحترام منسوبة إلى بني حرام ذات مساجد مشهودة وحياض مورودة
ومبان وثيقة ومغان أنيقة وخصائص أثيرة ومزايا كثيرة

بها ما شئت من دين ودنيا وجيران تنافوا في المعاني
فمشغوف بآيات المثاني ومفتون برنات المثاني
ومضطلع بتلخيص المعاني ومطلع إلى تخليص عاني
وكم من قارئ فيها وقارٍ أضرّا بالجفون وبالجفان
وكم من معلم للعلم فيها ونادٍ للندى حلو المجاني
ومغنى ما يزال يغن فيه أغاريد الغواني والأغاني
فصل إن شئت فيها من يصلي وإما شئت فادن من الدنان
ودونك صحبة الأكياس فيها أو الكاس المنطلق العنان

قال فبينما أنا أنفض طرقها وأستشف رونقها إذ لمحت عند دلوك براح وإظلال الرواح
مسجداً مشتهر الطرائف مزدحم الطوائف وقد أجرى أهله ذكر حروف البدل وجروا
في حلبة الجدل فعجت نحوهم لأستمطر نوءهم لا لأقتبس نحوهم [illegible]
العجلان حتى ارتفعت الأصوات بالأذان [illegible]

نبي الكلام وجلّلنا أجياد الغباء وشغلنا بالقنوت عن استمداد القوت وبالسجود عن
استماح الجود ولما قضي الفرض وكاد الجمع يرفض انبرى من الجماعة كهل حلو البراعة
له مع السمت الحسن دماثة اللّسن ونصاعة الحسن فقال يا جيرتي الذين اصفيتهم على
انصار محبتي وجعلت خطتهم دار هجرتي واتخذتهم كرشي وعيبتي واعددتهم لحضرتي
وغيبتي انما تعلمون ان لبوس الصدق ابهى الملابس الفاخره وان فضوح الدنيا اهون من فضوح
الاخره وان الدين امحاض النصيحه والارشاد عنوان العقيده الصحيحه وان المستشار
مؤتمن والمسترشد بالنصح قمن وان اخاك هو الذي عذلك لا الذي عذرك وصديقك الذي
صدقك لا من صدّقك فقال له الحاضرون يا ايها الخل الودود والخدن المودود ما سر
كلامك الملغز وما شرح خطابك الموجز وما الذي تبغيه منا لننجزه ولو عجز فوالذي
حبانا بحبك وجعلنا من صفوة احبتك ما نالوك نصحا ولا ندخر عنك نصحا فقال لهم
جزيتم خيرا ووقيتم ضيرا فانكم من لا يشقى بهم جليس ولا يصدر عنهم تلبيس ولا يخيب
فيهم مظنون ولا يبطن دونهم مكنون وسابثكم ما حاك في صدري واستفتيكم فيما
عيل له صبري اعلموا اني كنت عند صلود الزند وصدود الجد اخلصت مع الله نيه
[illegible] وعقدت عقدة العهد على ان لا اسبا مداما ولا اعاقر نداما ولا احتسي
[illegible] ولا [illegible] والشهوة المذله ان نادمت الابطال

وارتضعنا الوقار وارتضعت العقار وامتطت مطى الكميت وتناسيت التوبة كالميت

ثم لم يزل بانيك الدهر في طاعة ابي [illegible]

بابتياع

أوقد النار للضيوف إذا النكس أخمدا ۝ ويرى المؤملون ملاذا ومقصدا

لم يشم بارق صد فانثنى يشتكي الصدا ۝ لا ولا رام قابس قدح زنديه فاصلدا

طالما ساعد الزمان وانتحيت مسعدا ۝ فقضى الله أن يغير ما كان عودا

بوأ الروم أرضنا بعد ضعف نو لدا ۝ فاستباحوا حريمهم من وجدوه موحدا

وحووا كل ما استسر بها لي وما بدا ۝ فتطوحت في البلاد طريدا مشردا

اجتدي الناس بعد ما كنت من قبل مجتدا ۝ ونرى بي خصاصة أتمنى لها الردى

والبلا الذي به تمثل النبي بسددا ۝ أسر ابني التي أسروها لتفتدا

فاستبن محنتي ومد إلى نصرتي يدا ۝ واجرني من الزمان فقد جار واعتدى

واعتني على فكاك ابني من يد العدى ۝ فبذا يمحي المآثم عمن تمردا

وبه يقبل الإنابة ممن تزهدا ۝ وهو كفارة لمن راغ من بعد ما اهتدى

ولئن قمت منشدا فلقد قمت مرشدا ۝ فاقبل النصح والهداية واشكر لمن هدى

واسمح الآن بالذي يسنا التحمدا

قال أبو زيد فلما أتممت هذه مني وأوهم المسؤول صدق كلمتي أغراه العزم إلى
الكرم بمواساتي ورغبه اللهف في تحمل الكلف في مفاداتي [illegible]
الواقعة فانقلبت إلى وكري وقد أنجح مكري وأحسنت من [illegible] على سوء [illegible]

ووُسِمتُ من جور القضية إلى لؤمٍ بعصبية قال الحارث بن همام فقلت له سبحان من أبدعك فما أعظم خُدَعك فاستغرب في الضحك ثم أنشد غير مرتبك

عِشْ بالخداع فأنت في دهرٍ بنوه كأُسْدِ بيشهْ
وأدِرْ قناةَ المكرِ حتى تستديرَ رحى المعيشهْ
وصِدِ النسورَ فإن تعذّرَ صيدُها فاقنعْ بريشهْ
واجْنِ الثمارَ فإن تفُتْكَ فرضِّ نفسَكَ بالحشيشهْ
وأرِحْ فؤادَكَ إن نبا دهرٌ من الفكرِ المطيشهْ
فتغايُرُ الأحداثِ يؤذِنُ باستحالةِ كلِّ عيشهْ

المقامة التاسعة والأربعون

حكى الحارث بن همام قال بلغني أن أبا زيد حين ناهز القبضة وابتزّه قيدُ الهرم النهضة أحضر ابنه بعدما استجاش ذهنه وقال له يا بُنيّ إنه قد دنا ارتحالي من الفِناء واكتحالي بمِرْوَدِ الفَناء وأنت بحمد الله وليُّ عهدي وكبشُ الكتيبة الساسانية من بعدي ومثلُك لا تُقرَعُ له العصا ولا يُنبَّه بقرع الحصا ولكن قد ندب إلى الادّكار وجُعِل صِقالاً للأفكار وإني موصيك بما لم يوصِ به شيثٌ الأنباطَ ولا يعقوبُ الأسباط

فاحفظ وصيتي وجانب معصيتي واحذ مثالي واقتد بمثالي فإنك إن تستنصح نصحي
واستصحبت بصحبي أمرع جنابك وارتفع دخانك وإن تناسيت قولي ونبذت مشوري
قل ما ذات يدك وزهد أهلك وهضك فيك يا بني إني جربت حقائق الأمور

وتلون تصاريف الدهور فرأيت المرء بنشبه لا بنسبه والفخر عن مكسبه لا عن حسبه
وكنت سمعت أن المعايش إمارة وتجارة وزراعة وصناعة فـ ... ـهانه ... دهر
أنها أوفق وأنفع فما أحمدت منها معيشة ولا استعذبت ... ... من ... الأدباء

بابها والنشاط جلبابها والفطنة مصباحها والنجعة سلاحها فكن اجول من قطرب
واسرى من جندب وانشط من ظبي مقمر واسلط من ذيب متنمر واقدح زند
جدك بجدك واقرع باب رزقك بسعيك وجب كل فج وخض كل لج وانتجع كل روض
وادل دلوك الى كل حوض ولا تسام الطلب ولا تمل الداب فقد كان مكتوبا على عصى شيخنا
ساسان من طلب جلب ومن جال نال واياك والكسل فانه عنوان النحوس ولبوس البوس ومفتاح
المتربة ولقاح المتعبة وشيمة العجزة الجهلة وشنشنة الوكلة التكلة وما اشتار
العسل من اختار الكسل ولا ملا الراحة من استوطا الراحة وعليك بالاقدام ولو على الضرغام
فان جراة الجنان تنطق اللسان وتطلق العنان وبها تدرك الحظوة وتملك الثروة كما ان الجبن
صنو الكسل وسبب الفشل ومنطاة للعجز ومخيبة للامال ولهذا قيل في المثل من جسر ايسر ومن
هاب خاب ثم ابرز يا بني في بكور ابي زاجر وجراة ابي الحرث وحزامة ابي قترة وختل ابي جعدة
وحرص ابي عقبة ونشاط ابي وثاب ومكر ابي الحصين وصبر ابي ايوب وتلطف ابي
غزوان وتلون ابي براقش واخلب بصوغ اللسان واخدع بسحر البيان وارتد السوق قبل الجلب
وامتر الضرع قبل الحلب وسايل الركبان قبل المنتجع ومهد لجنبك قبل المضجع واتخذ
بصيرتك للعيافة وانعم نظرك في القيافة فان من [illegible] حمد ومن جنحت
فراسته ارتطات فريسته وكن ابات من حدب بكل قليل لديه [illegible] فانعب

من الوبل بالطل واستعظم وقع الحقير واشكر على النقير ولا تقنط عند الرد ولا تستبعد
رشح الصلد ولا تيأس من روح الله انه لا ييأس من روح الله الا القوم الكافرون واذا خيرت
بين ذرة منقودة ودرة موعودة فمل الى النقد وفضل اليوم على الغد فان للتاخير آفات
وللعزائم بدوات وللعدات معقبات وبينها وبين النجز عقبات واي عقبات وعليك بصحبة
اولي العزم ووفود ذوي الحزم وجانب في المنتشط وخالق الخلق المنبسط وقيد الدرهم بالربط
وشبه الانفاق بالضبط ولا تجعل يدك مغلولة الى عنقك ولا تبسطها كل البسط ومتى نابك بلد
او نابك فيه كمد فبت منه املك وازجر عنه جملك فخير البلاد ما حملك ولا تستثقل الرحلة ولا
تكره النقلة فان اعلام شريعتنا واشياخ عشيرتنا اجمعوا على ان الحركة بركة
والطراوة سفتجة وزروا على من زعم ان الغربة كربة والنقلة مثلة وقالوا لو
هي تعلة من قنع بالرذيلة ورضي بالحشف وسوء الكيلة واذا ازمعت الاغتراب وغدت
له العصا والجراب فتخير الرفيق المسعد من قبل ان تصعد فان الجار قبل الدار والرفيق
قبل الطريق

خذها اليك وصية لم يوصها قبلي احد

غرا جاءت بها خلاصات المعاني والزبد

فاستغن منها من محض النصيحة واجتهد

تسمن بامثلة عمال لنيل اخي الرشد

حتى يقول الناس هذا الشبل من ذاك الأسد

ثم قال له يا بني قد أوصيت وإن عصيت فإن اقتديت فواها لك وإن اغتربت فآها

منك والله خليفتي عليك وأرجو أن لا يخلف ظني فيك فقال له ابنه يا أبه لا وضع عنك ثقل

ولا رفع نعشك فلقد قلت سددا وعلمت رشدا وبذلت ما لم يبخل والد لولد ولئن أمهلت

بعدك وذقت فقدك فلأتأدبن بآدابك الصالحة ولأقتدين بآثارك الواضحة

حتى يقال ما أشبه الليلة بالبارحة والغادية بالرائحة فاهتز أبو زيد لمقالته

وابتسم وقال من أشبه أباه فما ظلم قال [illegible] فحين [illegible] سمعوا هذه

الوصية الحسان فصلوها على وصايا لقمان وحفظوها كما تحفظ أم القرآن حتى إنهم
ليرونها إلى الآن أولى ما لقنوه الصبيان وأنفع لهم من نحلة العقبان ❁

المقامة الخمسون

حكى الحارث بن همام قال أشعث في بعض الأيام همًّا برّح بي استعاره ولاح علي شعاره
وكنت سمعت أن غشيان مجالس الذكر يسرو غواشي الفكر فلم أر لإطفاء ما بي من الجمرة إلا قصد
الجامع بالبصرة وكان إذ ذاك مأهول المسانيد مشفوه الموارد يجتنى من رياضه أزاهير
الكلام ويسمع في أرجائه صرير الأقلام فانطلقت إليه غير وانٍ لا ألوي على شان فلما وطئت
حصاه واستشرفت أقصاه تراءى لي ذو أطمار بالية فوق صخرة عالية وقد عصبت
به عصب لا يحصى عديدهم ولا ينادى وليدهم فأممته قصده ووردت ورده
ورجوت أن أجد شفاء عنده فلم أزل أتنقل في المراكز وأتخطى الأكتاف والكراكز إلى أن
جلست تجاهه وتحققت اشتباهه فإذا هو شيخنا السروجي ربيه
ولا مين يخفيه فنفست رؤيته عني همي وأنفضت كتيبة غمي وحين رآني ونبه بمكاني قال
يا أهل البصرة رعاكم الله ووقاكم وقوى تقاكم فما أضوع رياكم وأفضل مزاياكم بلدكم
أوفى البلدان طهرة وأزكاها فطرة وأفسحها رقعة وأمرعها نجعة وأقومها قبلة وأوسعها

دجلة واكثرها نهرا ونخلة واحسنها تفصيلا وجملة دهليز لطلب احرام وقبالة
الباب والمقام واحد حاجي الدنيا والمعتز المؤسس على التقوى لم يدنس ببيوت النيران
ولا طيف فيه بالاوثان ولا يجد في اديمه لغير الرحمن ذو المشاهد المشهودة والمساجد
المقصودة والمعالم المشهورة والمقابر المزورة والآثار المحمودة والخصص المجودة ومنابتي
الفلك والركاب والبستان والطباب والجاري والملاح والغايص والقداح والنابت والراسخ
والسابح والسابح ولذا آية المد الفايض والجزر الغايض واما انتم فلا تخلف في خصايص
اثان ولا ينكرها انسان دهماؤكم اطوع رعية لسلطان واشكركم لاحسان وزهادكم
اورع الخليقة واحسنهم طريقة على الحقيقة وعالمكم علامة كل زمان والحجة في كل
اوان منكم من استنبط علم النحو ووضعه والذي ابتدع ميزان الشعر واخترعه وما من فخر
الا ولكم فيه اليد الطولى والقدح المعلى وان شيتم فانتم اجوبوا اولى نشرا انتم اكثر
اهل مصر مؤذنين واحسنهم في النسك واثبتكم اقتدي في التعريف وعرف النحير في الشهر
الشريف ولكم اذا اذن المضاجع تذكار يوقظ النايم ويوتر القايم وما انتم ثغر فجر ولا يبزغ
نوره في برد ولا حر الا ولنا ذكركم بالاستحار كدوي النحل في البحار وبهذا عنكم صدع
النقل واخبر النبي عليه السلام من قبل وبشر ازدوتكم بالاسحار كدوي النحل فيه فيا
لكم بشارة النبي المصطفى واهل مدنا وادرقعفا ... لا شفا امير

لسانه وخطر بباله حتى جرح بالأبصار ونزف بالأقصار فتنفس تنفس من قيد لفؤاده
او ضبث به ابن أسد ثم قال اما انتم يا أهل البصرة فما منكم الا العلم المعروف ومن له
المعرفة والمعروف واما انا فمن عرفني فانا ذاك وسر المعارف من آذاك ومن لم
يثبت عرفاني فساصدقه صفتي انا الذي انجد واتهم وايمن واشأم واصحر وابحر
وادلج واسحر نشأت بسروج وربيت على السروج ثم ولجت المضايق وفتحت المغالق
وشهدت المعارك ولنت العرائك واقدت الشوامس وارغمت المعاطس واذبت
الجوامد واستغويت الجلامد سلوا عني المشارق والمغارب والمناسم والغوارب والمحافل
والجحافل والقبائل واستوضحوا لي من نقلة الاخبار ورواة الاسمار وحداة الركبان
وحذاق الكهان لتعلموا كم فج سلكت وحجاب هتكت ومهلكة اقتحمت وملحمة الحمت
وكم الباب خدعت وبدع ابتدعت وفرص اختلست وآساد افترست وكم من خليق
غادرته لقى ومال استخرجته بالرقى وحجر بحرته حتى انصدع واستنبطت له بالخدع
ولكن فرط ما فرط والغصن رطيب والفود غربيب وبرد الشباب قشيب فاما الآن
وقد استشن الأديم وتأود القويم واستنار الليل البهيم فليس الا الندم ان نفع والترقيع
الخرق الذي رقع وقد روت في الآثار المسندة والاخبار المعتمدة ان لكم
من الله تعالى [illegible] وان [illegible] الحلم لأدعية فقصدتكم

انضيت الرواحل واطويت المراحل حتى اتيت هذا المقام فبكم ولا امن
عليكم اذ ما سعيت لابتغي حاجتي ولا اعنت لاكد راحتي ولست ابغي عطيتكم
بل استدعي ادعيتكم ولا اسالكم اموالكم بل استنزل سؤالكم فادعوا الله بتوفيقي
للمتاب والاعداد للماب فانه رفيع الدرجات مجيب الدعوات وهو الذي يقبل

بعلام الخفيات وغفار الخطيات إن شأني عجاب ودعاءهم لمجاب فقلت زدني

إيضاحا زادك الله صلاحا فقال والله لقد قمت فيهم مقام المريب الخادع ثم انقلبت عنهم

بقلب المنيب الخاشع فطوبى لمن صغت قلوبهم إليه وويل لمن باتوا يدعون عليه ثم ودعني وانطلق

وأودعني القلق فما زلت أعاني الفكر وأستوضح إلى خبره ما ذكر وكلما استنشيت خبره

من الركبان وجوابة البلدان كمن سامر نجما أو نادى صخرة صماء إلى أن لقيت

بعد [illegible] ابن الكمد ركبا قافلين من سفر فقلت هل من مغربة خبر

فقالوا إن عندنا خبرا أغرب من العنقاء وأعجب من نظر الزرقاء فقلت لهم

[illegible] ولكم الحسنى إنا لما أتينا سروج بعدما فارقها

[illegible] أبو زيد العفوف ولبس الصوف وأم الصفوف ودان بها الزهد

وصار ملكا فقلت أتعنون ذا المقامات فقالوا إنه الآن ذو الكرامات

فهزني إليه النزاع ورأيتها فرصة لا تضاع فارتحلت بجلة العدة وركبت

متن الجد حتى حللت بمسجده ومراح متعبده فإذا هو قد تخلى عن صحبه

وانتصب في محرابه وهو ذو عباءة مخلولة وشملة موصولة فهبته مهابة

من وفد على الأسود ونعته بمن سيماه في وجوههم من أثر السجود وما فرغ

من سبحته حياني بمسبحته من غير أن ينبس ببنت شفة ولا استخبر عن قديم ولا حديث

ثم أقبل على أوراده، وتركني أعجب من اجتهاده، وأغبط من هدى الله من عباده، ولم يزل

في قنوت وخشوع، وسجود وركوع، وإخبات وخضوع، إلى أن أكمل إقامة الخمس، وصار

اليوم أمس، فحينئذ انكفأ إلى بيته، واسهمني في قرصه وزيته، ثم نهض إلى مصلاه،

وتخلى بمناجاة مولاه، حتى إذا التمع الفجر، ووجب على المتهجد الأجر، عقب تهجده بالتسبيح،

ثم اضطجع ضجعة مستريح، وجعل يرجع بصوت فصيح،

خل ادكار الأربع ... والمعهد المرتبع

والظاعن المودع ... وعد عنه ودع

وَنَدْبُ زَمانًا سَلَفا   سَوَّدْتَ فيهِ الصُّحُفا   ولم تَزَلْ مُعْتَكِفا   على القَبيحِ الشَّنِعِ

كَمْ لَيلَةٍ اَوْدَعْتَها   مَآثِمًا اَبْدَعْتَها   لِشَهْوَةٍ اَطَعْتَها   في مَرْقَدٍ ومَضْجَعِ

وَكَمْ خُطًى حَثَثْتَها   في خِزْيَةٍ اَحْدَثْتَها   وَتَوْبَةٍ نَكَثْتَها   لِمَلْعَبٍ ومَرْتَعِ

وَكَمْ تَجَرَّأْتَ على   رَبِّ السَّمَواتِ العُلى   ولَمْ تُراقِبْهُ ولا   صَدَقْتَ فيما تَدَّعي

وَكَمْ غَمَصْتَ بِرَّهُ   وَكَمْ اَمِنْتَ مَكْرَهُ   وكَمْ نَبَذْتَ اَمْرَهُ   نَبْذَ الحِذا المُرَقَّعِ

وَكَمْ رَكَضْتَ في اللَّعِبْ   وَفُهْتَ عَمْدًا بالكَذِبْ   ولَمْ تُراعِ ما يَجِبْ   مِنْ عَهْدِهِ المُتَّبَعِ

فَالْبَسْ شِعارَ النَّدَمِ   وَاسْكُبْ شَآبيبَ الدَّمِ   قَبْلَ زَوالِ القَدَمِ   وَقَبْلَ سُوءِ المَصْرَعِ

وَاخْضَعْ خُضوعَ المُعْتَرِفْ   ولُذْ مَلاذَ المُقْتَرِفْ   واعْصِ هَواكَ وانْحَرِفْ   عَنْهُ انْحِرافَ المُقْلِعِ

اِلامَ تَسْهو وتَني   وَمُعْظَمُ العُمْرِ فَني   فيما يَضُرُّ المُقْتَني   وَلَسْتَ بالمُرْتَدِعِ

اَما تَرى الشَّيبَ وَخَطْ   وَخَطَّ في الرَّاْسِ خِطَطْ   وَمَنْ يَلُحْ وَخْطُ الشَّمَطْ   بِفَوْدِهِ فَقَدْ نُعي

وَيْحَكِ يا نَفْسُ احْرِصي   على ارْتِيادِ المَخْلَصِ   وَطاوِعي وَاَخْلِصي   وَاسْتَمِعي النُّصْحَ وَعي

وَاعْتَبِري بِمَنْ مَضى   مِنَ القُرونِ وانْقَضى   وَاخْشَيْ مُفاجاةَ القَضا   وَحاذِري اَنْ تُخْدَعي

وَانْتَهِجي سُبْلَ الهُدى   وَادَّكِري وَشْكَ الرَّدى   فَاِنَّ مَثْواكِ غَدا   في قَعْرِ لَحْدٍ بَلْقَعِ

آهًا لَهُ بَيْتَ البِلى   وَالمَنْزِلَ القَفْرَ الخَلا   وَمَوْرِدَ السَّفْرِ الاُلى   وَاللّاحِقِ المُتَّبِعِ

بَيْتٌ يُرى مَنْ اُودِعَهْ   قَدْ ضَمَّهُ وَاسْتُودِعَهْ   بَعْدَ الفَضاءِ وَالسَّعَهْ   قِيدَ ثَلاثِ اَذْرُعِ

وكانت هذه خاتمة لتلاقي قال الشيخ الإمام أبو محمد القسم بن علي بن
محمد بن عثمن الحريري رحمه الله هذه آخر المقامات التي أنشأتها بالاغترار وأمليتها بلسان
الاضطرار وقد أُلجئت إلى أن أعرضها للاستعراض وأدنيتها في سوق الأعراض هذا مع علمي
بأنها من سقط المتاع ومما يستوجب أن يباع ولا يبتاع ولو غشيني نور التوفيق ونظرت لنفسي
نظر الشفيق لسترت عواري التي لم تزل مستورة ولكن كان ذلك في الكتاب مسطورا وأنا
أستغفر الله مما أودعتها من أباطيل اللغو وأضاليل اللهو وأسترشده إلى ما يعصم من السهو
ويحظي بالعفو إنه هو أهل التقوى وأهل المغفرة وولي الخيرات في الدنيا والآخرة
والحمد لله رب العالمين وصلواته على رسوله سيدنا محمد النبي وآله الطاهرين وسلم

فرغ من نسخها العبد الفقير إلى رحمة ربه وغفرانه وعفوه
يحيى بن محمود بن يحيى بن أبي الحسن بن كوريها الواسطي بخطه
وصوره آخر نهار يوم السبت سادس شهر رمضان سنة أربع وثلثين
وستمايه حامدا لله تعالى على نعمه ومصليا على خير خلقه سيدنا
محمد النبي وآله وصحبه الأخيار الأبرار الأطهار وشرف
وكرم وسلم